FOUNDED 1876 BY DRS. Y. SARRUF & F. NIMR

المقتطف

مجلة علمية صناعية زراعية

لمنشيها

الدكتور يعقوب صروف والدكتور فارس نمر

المجلد الحادي والخمسون

يوليو الى ديسمبر سنة ١٩١٧

قيمة الاشتراك في السنة جنيه انكليزي (٢٥ فرنكاً) يدفع سلفاً

AL-MUKTATAF

AN ARABIC SCIENTIFIC REVIEW

EDITED BY DR. Y. SARRUF

Vol. LI

July to December, 1917.

PUBLISHED MONTHLY

AL-MUKTATAF PRINTING OFFICE
CAIRO, EGYPT.

تسخن الماء الذي على وجه البحر وتحوله بخاراً فيختطفهُ الهواء ويصعد به فيأتي الماء الذي تحتهُ ويحل محلهُ وهلمَّ جرًّا فجعلت اصعد رويداً رويداً صعوداً بطيئاً جدًّا حتى انني لم ابلغ سطح البحر الاَّ بعد نحو مليون سنة

في البحار الاستوائية

هنا انتعش فؤادي فاني قابلت نور الشمس البهيج ورأيت الوف الحيوانات تسبح وتمرح ولا برد ولا ضغط ولا ما يضيق به الصدر . ولكن ما من نعيم يدوم طويلاً فبينا انا جزلة ناعمة البال اختطفني نبات بحري وادخلني في بنائهِ فاضطررت ان اقيم فيهِ واجري معهُ كيفما تقاذفتهُ الامواج ولعلي بقيت فيهِ اكثر من مئة سنة . ثم اكلهُ حيوان هلامي فدخلت جوفهُ وجربت في عروقهِ الى ان صرت جزءاً من بدنهِ المائي . وثارت العواصف ذات يوم وعلت الامواج فقذفت بذلك الحيوان على صخور الساحل فاختنق ومات وبلي جسمهُ فتحررت منهُ وعدت الى البحر فابتلعني حيوان آخر وآخر وهلمَّ جرًّا . وكنت ابقى في جسم كل حيوان الى ان يموت او يأكلهُ آخر . وقد قضيت على كل تلك الحيوانات واما انا فبقيت كما كنت ولم امت

وكنت اذا خرجت من جسم الحيوان الى البحر لا ابقى بلا عمل بل أُكلَّف انا وغيري من ذرات الماء حفظ بعض الغازات والجواهد الذائبة في فيهِ . وكثيراً ما كان السمك ذو الخياشيم ينصبنا ليسلب الاكسجين منا ويعيضنا اكسيد الكربون الثاني يعيضنا من العسالج طالحاً

وكان من نصيبي انني دخلت في كل تيارات الاوقيانوس واشتركت في المد والجزر ملايين كثيرة من السنين وامتزجت بالرشاش الذي كان يطير من الامواج حال تنفسها على شطوط المرجان . ودام الحال على هذا المنوال الى كنت ذات يوم اشمس على سطح البحر فقبض عليَّ الهواء الحار وصعد بي الى اعالي الجو

في نهر تحت الارض

وقع في بالي حينئذٍ ان لا بدَّ لي من العودة الى الارض او الى البحر فكان كما توقعتُ . واتفق ذات يوم ان تولَّدت انكبر بائية الى جانبي فأُجبرتُ على حمل بعضها وكان منها برق يخطف الابصار ورعد يصمُّ الآذان فوقعت على الارض مع نقط المطر في بلاد سحيقة وسرت مع غيري الى جدول فغدير فنهر صغير جرى بنا مسافة طويلة في وادٍ عميق ثم دخل بغتةً في غار عميق محفور في الصخور الكلسية ينتهي بجيرة واسعة في قلب الارض حيث الظلام دامس . فبقيت هناك سنين عديدة لا ارى شيئاً ولكن لم يكن عليَّ ضغط كما كان في جبل الجليد وقاع البحر ولا كان هناك امواج وتيارات لان الرياح لا تهب في ذلك

الكهف لكن الظلام الدامس والسكون المستمر يضيقان الصدور ولم يكن لي من عمل سوى حمل شيء من مذوب كربونات الكلس

وكل مجاري المياه في قلب الارض وكل ما فيها من الكهوف انما حفرتها اخواتي ذرات الماء في العصور الغابرة لكنها لم تكتفِ بحفرها واذابة صخورها بل عملت عملاً آخر لتثبت انها تستطيع البناء كما تستطيع الهدم فانها بنت فيها اعمدة معلقة بسقفها من مادة كلسية تكاد تكون شفافة كالزجاج بعضها ابيض وبعضها اصفر او وردي . وحيث يكون قاع الكهف مرتفعاً لا يغطيه ماء البحيرة تجد تحت هذا العمود المتدلي من السقف عموداً آخر ناشئاً من الارض يلاقيه كانهما عاشقان تلاقيا وتعانقا

ثم كثرت مياه النهر في تلك البحيرة وجرى بي منها ينبوعٌ صافي الزلال

في نبات من نباتات الفحم الحجري

سرت مع ماء ذلك الينبوع المنبثق من جوف الارض الى ان بلغت بحيرة كبيرة ثم قبض عليَّ الهواء بواسطة حرارة الشمس فصعدت الى اعالي الجو وعدت الى الارض في نقطة مطر فغرت فيها وانا لا ادري الى اين مصيري هذه النوبة الى ان دنوت من جذور شجرة كبيرة فقبض عليَّ جذيرٌ منها وامتصني فدخلت جوفهُ وسرت مع عصارته في الانابيب المارة بين الياف الخشبية الى ان بلغت جذراً كبيراً ومنهُ الى ساق الشجرة فغصن من اغصانها فتفرع من فروع ذلك الغصن واخيراً وصلت الى ورقة من اوراقه وكنت مضطرة مع غيري من ذرات الماء الى حل بعض المواد التي تغتذي بها تلك الشجرة من مركبات النتروجين والفصفور والكبريت واليوتاسيوم وما اشبه اي انا كنا من حمّالات الطعام ولم يكن سبيلنا سهلاً ومسيرنا خالياً من العوائق بل كنا مضطرات ان نجاهد في فتح طريقنا بايدينا

ولما بلغنا الورقة جعلنا نساعد الشجرة على اعداد طعامها وهضمهِ وقد كانت تلك الشجرة من اغرب الاشجار التي نبتت في العصر الكربوني ثم اندثرت وتكوّن منها فحم حجري . وفي الواقع كنت من ذرات الماء التي ساعدت في تكوين الفحم الحجري في منجم ببلاد الصين فان الورقة التي كنت فيها تمكنت بواسطة مادتها الخضراء من استمداد القوة من الشمس واكسيد الكربون الثاني من الهواء واخذت الكربون منهُ فابتت عليهِ مع ذرات الماء وردت الاكسجين الى الهواء . فان بناء الشجر مؤلف من ذرات الماء وكربون الهواء . ثم أخبرت ان تلك الشجرة التي كنت في احدى اوراقها شاخت وسقطت في المستنقع الذي كانت نامية

فيه وامتزجت بسائر مواد من النباتية ثم ضمت فوقها الاتربة وتكوّن منها الفحم الحجري واما بخار تلك التربة وبخوتُ في تربات أخرى بعدها الى ان كنت يوماً عند سطح ورقة من اوراق شجرة فلما اشرقت عليها اشعة الشمس صعد بعض ما فيها بخاراً وكنت انا منهُ

كنت ابلغ السيارات

لما صعدت الى الهواء هذه التربة ارتفع بي الى طور شاهق جدًّا فانشرح صدري وطابت نفسي حتى زال من بالي العود الى الارض مع المطر او الثلج لانني بعدت عنها بعداً شاسعاً فتلاطف الهواء حولي وصارت دقائقهُ من النتروجين والاكسجين والهيدروجين وذرات البخار التي فيهِ تتباعد بعضها عن بعض . ثم صدمتنا جسم من الاجسام فاندفعت جواهر الهيدروجين في خط شجبي وخرجت من فلك الارض . وقد رأيت نفسي حينئذٍ معرضةً للاندفاع مثلها فخرت بين ان يكون من سعدي او من نحسي ان اخرج من فلك الارض . ولو حدث ذلك لدخلت بين افلاك السيارات وصرت ادور حول الشمس كواحدة من سياراتها على ما بي من الصغر كاني ابنة الارض او ابنة اخت المشتري . وقد ترك الارض في تلك النوبة الوف من جواهر الهيدروجين والهليوم واقامت في الفضاء حول الشمس او اجتذبتها السيارات والمذنبات ولكن قلما يحتمل أن يكون بعضها قد خرج من النظام الشمسي بتاتاً لان جذب الشمس يصل الى ابعد من ابعد السيارات فيضمها من الافلاك . ومن المظنون ان ماء الارض والجلد لا يحويان الآن كل الماء الذي نفثتهُ الارض من جوفها بل ان بعضهُ اندفع عنها وافلت من جوها ولاسيما في العصور الخوالي حينما كانت الارض اصغر مما هي الآن واضعف جاذبيةً ولكن جاءها من ذرات الماء التي كانت تائهة في الفضاء مدفوعةً من الشمس والقمر والسيارات اكثر مما تفقد

ولو خرجتُ من فلك الارض لأُتعستُ بالنشور فشددت عزيمتي وتشبثتُ بالهواء وسرتُ في خط اهليلجي بدل الشلجمي فبعدت الى جو الارض بعد ان ابعدت عنهُ بعداً شاسعاً ولولا ذلك لكنتُ الآن في الفضاء بين السيارات والمذنبات ذرةً صغيرةً لا شأن لها على الاطلاق ولا نفع يُنتظر منها . ثم اني كنت اجذب الشمس كما تجذبني لان التجاذب متبادل حسب نواميس الطبيعة ولكن مَن انا وما هو جذبي . غير انهُ لا ينتظر ان اقيم في الارض ابد الدهر ولا بدَّ لي من ان يحملني الضجر على تركها يوماً ما

في البلدان الجنوبية

ثم حملتني مجاري الرياح وساقتني الى الاقاليم الجنوبية ولا يسعني الوقت لاقصّ كل

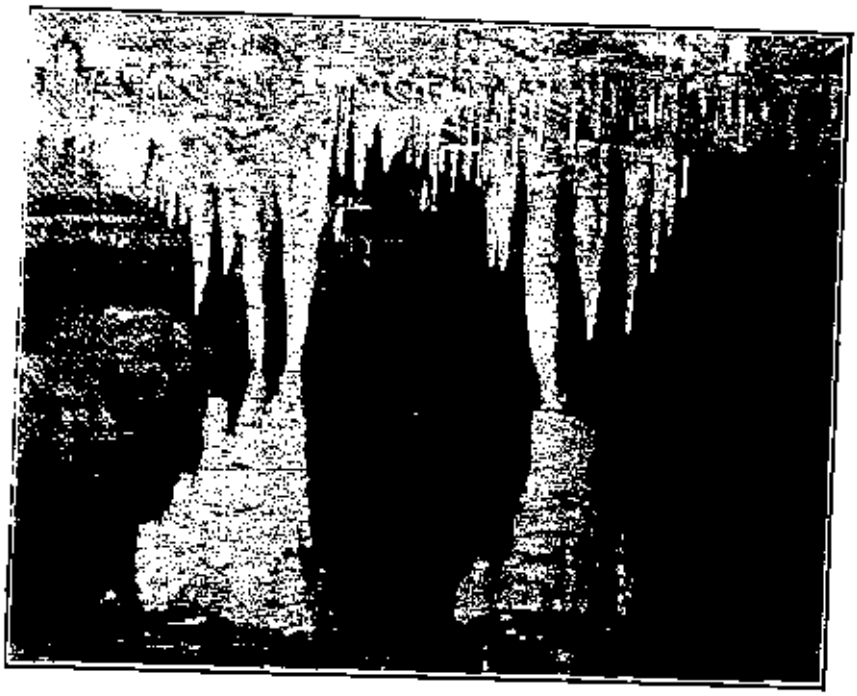

اعمدة في كهف كونتها ذرات الماء كما ترى في الصفحة ٣

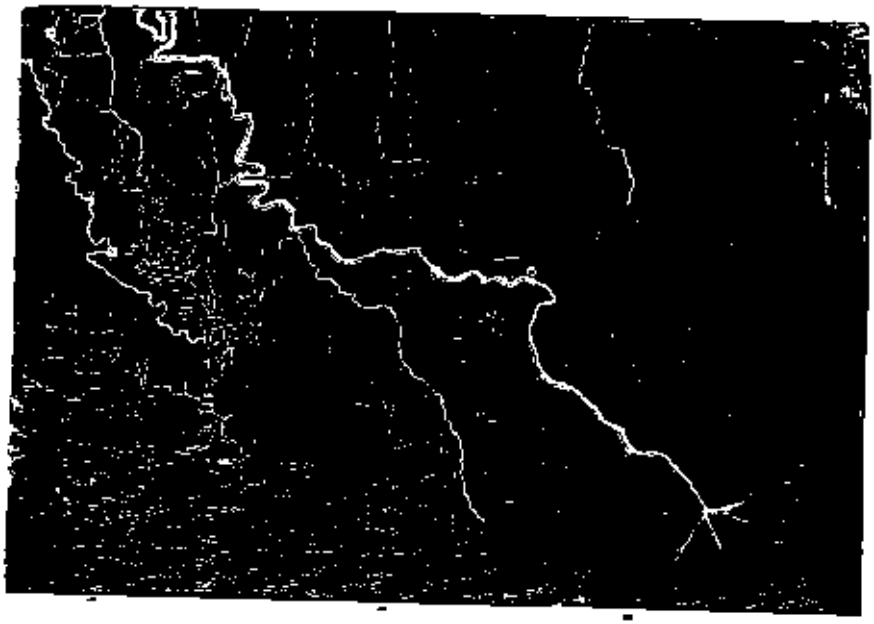

ذلك نهر المسيسبي بأميركا التي كونته ذرات الماء بما نقلته من الصخور وجرفته من التراب الى البحر

مقتطف يوليو ١٩١٧

في الصفحة ٥ و٦

ما مرَّ بي من العبر وان في تلك الاقاليم لاسيما وانها تماثل ما اصابني وانا في غيرها وكان العصر بداءة الدور المسمَّى عند الجيولوجيين بالبليوزوبك اي الدور الذي ظهرت فيه الزحافات الكبيرة . وقد شاهدت بعضها كما شاهدت بعض النباتات الغريبة التي نمت في ذلك العصر وكان لي يد في انشاء الانهر والبحيرات والسحب والزوابع والهالات والنواس لزح ولكن كانت الطوارئ التي طرأت على الارضين لتغير بتغير الادوار والعصور الجيولوجية وكان تغيرها سريعاً جداً فرأيت في ذلك ما يسليني

بقيتُ زمناً طويلاً في الاوقيانوس الباسيفيكي الجنوبي مختلطةً بمياهه ولم يكن حينئذٍ في السعة التي هو فيها الآن لان القارات الجنوبية كانت اوسع مما صارت اليه وكانت متصلة بعضها ببعض . ودخلت جسم حيوان كبير من الزحافات التي تسبح في البحر طوله نحو عشرة امتار وله زعانف كبيرة كالمجاذيف وشدق واسع كالماوية واسنان كبيرة مخروطية يطلق عليه اسم الاختيوساوروس ولكنني لا اظن انهُ كان يعرف اسمهُ او يعرف التلفظ به وجسم حيوان آخر اسمهُ بلزيوساوروس وهو قصير القامة طويل العنق جداً كأنَّ رأسهُ وعنقهُ جسم افعى واقبيت حيواناً كبيراً كالضفدع يعيش في البر والبحر طوله نحو ثلاثة امتار وجسمهُ مغطى بترس صفيق كالصفاة واسنانهُ قوية جداً

ووصلت في سياحتي الى جهات القطب الجنوبي فانجمدت بين ثلوجه ومرَّ عليَّ في ذلك الحبس مئتا الف سنة . ثم طرت سيفي الهواء وعبثتْ بي العواصف واوصلتني الى جبال الانديس في غربي اميركا فوقعت مع المطر وامتزجت بمياه الامازون فطرحني في الاوقيانوس عند خط الاستواء وبقيت هناك دهراً طويلاً في منطقة قليلة الحركة تارة في الماء وطوراً في الهواء

فعلنا بالقارات

نحن ذرات الماء اكثر عملنا منوط بتغيير وجه الارض . فانهُ يشقُّ علينا ان نرى الجبال شامخة بانوفها تناطح السحاب فنهاجمها ونحتها رويداً رويداً ونطرح فحاتها في السهول ونجرفها الى البحار ونبسطها في قاعها . وكل ما في البر يتنقل الى البحر ونحن النقلة المكلَّفات نقلهُ . وكان في امكاننا ان لا نبقي جبلاً ولا قارَّة ولا جزيرة الاَّ ونلتنتها كلها ونطرحها في قاع البحر فلا يبقى ظاهراً على وجه هذه الكرة الاَّ الماء والهواء لولا قوتان في الارض تعارضاننا وهما الحرارة والجاذبية فانهما تعمّقان قاع البحر في بعض الاماكن وترفعانهِ في اماكن اخرى حتى تصير منهُ جزائر وقارات وجبال فنضطر ان نكرر عملنا الاول مرةً بعد اخرى . ولقد تمكنَّا

غير مرة من جلب كل اليابسة ووضعها تحت اقدامنا في قاع البحر ولكن الحرارة رفعتها ثانية بقوتها التي تفوق الوصف فالتزمنا ان نسلك طريقاً غيرها من جديد ولكننا قد رأينا على البحر والمواطية فلا نترك البحر معها حال دوننا من الحوائل . لقد تراءا اذا وقفت على شاطىء البحر تهجم على الصخور فترتد عنها ثم تعاود الكرة مرة بعد اخرى و يوماً بعد آخر بلا ملل ولا ضجر الى ان فتتها كلها وذيبها . هذا كان شأننا منذ صار لكرة الارضية بحر اي منذ كانت اكبر من القمر قليلاً وسنواظب على هذا العمل ما دمنا نرى ارضاً تقاومنا

ولنا في تفتيت الصخور وجرف الاتربة اساليب مختلفة واعمالنا موزعة بيننا ولكن ما من ذرة منا تقتصر على عمل واحد بل كل ذرة تعمل كل عمل اتفق وصولها اليه فاحياناً نذيب الصخور كما تفعل بالملح والجبس والصخور الكلسية لانا نحن كوّناها فنحن نذيبها . واحياناً نكتفي باذابة ما بين دقائقها من المواد التي تلحمها بعضها ببعض فتتفتت وتتع لنجرفها ونجري بها الى الاودية والغدران والانهر والبحيرات والبحار . ونحن الأولى حفرنا الاودية في جوانب الجبال واذا وجدنا عائقاً في طريقنا انحدرنا من فوقه شلالات وجادل الى ان نذيبه . وكم من بحيرة الفينا فيها الغمي والابليز الى ان طمت وصارت ارضاً يابسة

واذا برد الهواء وقرّ حتى تعذر علينا البقاء في حالتنا السائلة جمدنا وصرنا ثلجاً او جمداً ولكننا لا ننقطع عن العمل حينئذٍ بل نزيد نشاطاً فان اهم اعمالنا في الجبال العالية وقت اشتداد البرد فندخل بين دقائقها ونمزقها وتفتتها ولا شيء يقف في طريقنا او نعجز عنهُ ولو عاقنا قليلاً . والجبال الشاهقة التي ترى الآن انما هي على هذا العظم وهذا العلو لانها ظهرت حديثاً وسوف نفتتها كلها ونجرفها الى قاع البحر كما فعلنا بالجبال التي كانت قبلها

ومتى فتتنا على فتات الصخور الناعم نبسطهُ طبقات منضدة بعضها فوق بعض وتترك فيها آثارهُ وآثار النبات والحيوان اللذين عاصرانا كأنها صفحات كتاب مكتوب بل هي تاريخ العصور الجيولوجية الغابرة

هذا ما فعلناهُ في الماضي وما سنفعلهُ في المستقبل . وسنستمر على عملنا بعد ما ينقرض نوع الانسان عن الارض كما كنا نفعل قبلما وجد عليها

لماذا هذا العمل وهذا العناء . هل نعمل حباً للعمل كلاً ولكن الحركة من طبعنا كما هي من طبع مثل سائر المخلوقات وانتم يا بني آدم لا تتنافسون وتتزاحمون وتتصارعون وتتقاتلون الاّ لان الحركة في طبعكم والطبع غلاّب

سيأتي البقية

اين الحبوب

نحن الآن في بداءة موسم الحبوب في بلاد زراعية اثبتت في العام الماضي انها تستطيع ان تمون نفسها . وموسم هذه السنة من الحبوب ليس اقل من موسم العام الماضي بل اكثر منهُ ومع ذلك ترى ثمن اردب القمح اكثر من ٣٠٠ غرش واردب الفول ٢٧٠ غرشاً حتى لقد اضطرَّ كثيرون من اصحاب المزارع الواسعة ان يبيعوا بعض ما عندهم من الثيران للذبح لانهم لم يستطيعوا ان يشتروا الفول الكافي لعلفها . فاين ذهبت الحبوب ولماذا هذا الغلاء الفاحش

قد يظن لاول وهلة ان هذه الحال خاصَّة بالقطر المصري وان الحبوب في غيرهِ كثيرة رخيصة وانما يتعذَّر جلبها اليهِ الآن لغلاء اجرة النقل ولكن ظهر من الاحصاء العام الذي نشرهُ ديوان الاحصاء الدولي في شهر مارس الماضي ان في مواسم الحبوب نقصاً كبيراً في كل البلدان يبلغ نحو ٢٨ في المئة اذا قوبلت بموسم سنة ١٩١٥ . و ١٧ في المئة اذا قوبلت بمتوسط السنوات الخمس من سنة ١٩١١ الى سنة ١٩١٥ وقد نقصت الذرة ايضاً وسائر الحبوب التي يصنع الخبز منها

وزد على ذلك انهُ كان يبقى جانب كبير من الحبوب من سنة الى أُخرى واما الآن فالباقي من العام الماضي قليل جدًّا واذا اضفناهُ الى موسم سنة ١٩١٦ قصَّر المجموع عن القيام بالمقطوعية العادية نحو ثلاثة في المئة

لما انتصب السر وليم كروكس الكيماوي المشهور يتلو خطبة الرياسة في مجمع تقدم العلوم البريطاني سنة ١٨٩٨ قدَّر ان الاراضي التي تصلح لزراعة القمح اذا زرعت كلها قمحاً وكان متوسط غلة الفدان منها اردبين ونصف اردب لم تبلغ الزيادة اكثر من ٢٥٠٠٠٠٠٠٠ اردب لانها لا تزيد على مئة مليون فدان وهي تكفي فقط لزيادة السكان في البلدان التي يأكل شعبها القمح حتى سنة ١٩٣١ لا غير . اي اذا جاوزنا سنة ١٩٣١ صارت غلة القمح في الدنيا غير كافية لما يزيد في عدد السكان

وقد مضى الآن نصف هذه المدة وكانت غلَّة القمح في السنين الماضية تزيد على اكثر من النسبة التي قدَّرها لها السر وليم كروكس في المساحة المزروعة وفي متوسط غلة الفدان . وقد قدَّر الدكتور أُستد ان مساحة الاطيان التي كانت مزروعة قمحاً بين سنة ١٨٨١

وسنة ١٨٩٠ كان متوسطه السنوي ٩٢٠٠٠٠٠٠٠ فداناً وبين سنة ١٨٩٠ و ١٩٠٠ كان متوسطها السنوي ٣٤٣٠٠٠٠٠٠ فدان وانها ستبلغ ٣٠٠٠٠٠٠٠٠ فدان. وان متوسط محصول الفدان سيبلغ نحو ثلاثة ارادب ونصف اردب فيبلغ محصولها كلها ١١٠٠٠٠٠٠٠٠٠ الف مليون اردب. وقد قدَّر السر وليم كروكس ما يأكل النفس في السنة باقل من اردب وقدَّره الدكتور أنستد باكثر من اردب فاذا فرضنا انهُ اردب فقط فكل الاراضي التي يمكن ان تغل القمح تكفي ثلثها الف مليون من النفوس فاذا صحَّ هذا التقدير فلا يحتمل ان يعجز محصول القمح عن اشباع آكليهِ قبل اواخر هذا القرن

ولكن ان كان الامر كذلك فلماذا هذا الغلاء الفاحش الآن. والجواب ان لهُ سببين كبيرين الاول محل المواسم في اكثر البلدان التي امكن احصاء موسمها وهذا يخرج رومانيا وتركيا وبلاد روسيا في اسيا وكلها من البلدان التي تصدر الحبوب لانها تزيد فيها على حاجة سكانها. والثاني تعذُّر نقل الحبوب والدقيق من روسيا وكانت روسيا تصدر في السنة من الدقيق ما ثمنهُ سبعون مليون جنيه وهي تعادل سبعين مليون اردب على اقل تقدير وتكفي سبعين مليوناً من النفوس فلو امكن نقل الدقيق من روسيا الآن لقام دقيقها مقام اكثر النقص في موسم الحبوب. فاذا انتهت الحرب وعقد الصلح هذه السنة وعادت طرق التجارة الى ما كانت عليهِ فلرجح انفراج الازمة الحاضرة وهبوط اسعار الحبوب ولو بعض الشيء ولكن اذا استمرَّت الحرب الى الشتاء المقبل فلا بدَّ من اشتداد الضيق لا لان التجار احتكروا الحبوب بل لان الحبوب غير كافية للقطوعية

ولكن هب ان محصول القمح في الدنيا كلها جاء اقل من المتوسط ٢٥ في المئة او ٣٨ في المئة وهب ان الحرب استمرَّت وطرق التجارة بقيت مقفلة فهذا كلهُ لا يستلزم ان تغلو الحبوب في القطر المصري هذا الغلاء الفاحش اذا شاءت الحكومة ان تقطع سعراً محدوداً للحبوب وتجبر اصحابها على البيع بهِ. وعكن هل من حسن السياسة ان تفعل ذلك أليس الافضل ان يقلل الناس من اكل الخبز ما امكن ويأكلوا بدلاً منهُ من مواد الطعام الرخيصة التي تقوم مقامهُ حتى يزيد الموجود من الحبوب على القطوعية وحينئذٍ ترخص من نفسها. وهذا يفعلهُ الناس من انفسهم عادةً

استعمار السوريين بين العهدين

(تابع ما قبلهُ)

قلنا في الجزء السابق انهُ كان للسوريين تأثير سياسي وفلسفي وعلمي وادبي وفني ودیني في الشعب الروماني واثباتاً لذلك نقول :

السياسة — لاثبات تأثيرهم السياسي يكفي ان نقابل مثلاً بين حكومة اغسطس اللامركزية التي تركت الولايات التابعة لرومية تحكم نفسها بنفسها وبين حكومة ذيوقليطيانوس المركزية المطلقة والتي نشأت بعد ان احتلّ العقل الروماني بالعقل الشرقي وبالاخص السوري في سوريا وخارجها

من النساء السوريات اللواتي كان لهنَّ شأن كبير في سياسة رومية جوليا دُمنا ابنة كاهن الإله حمص إيلجبل (الجبل) وزوجة الامبراطور سبتيموس سفيروس ووالدة كراكلا وجيتا . تزوَّج بها سبتيموس وهي اصغر منهُ بعشرين سنة لما كان قائداً للفرقة السورية وذلك عملاً بقول عرَّافة سورية ان شخصاً سيتزوَّجُ احدى بنات كاهن حمص ويصير ملكاً . وكانت جوليا هذه متضلِّعة من العلوم الطبيعية والفلكية وذات خلق جاذب فتَّان . فاجتمع في العاصمة دائرة من اشراف الرومان واعيان السوريين كانت هي محورها . ثم ان كاهناً حمصيًّا اسمهُ إيلجبلس Elagabulus فاز سنة ٢١٨ ب . م بالانتخاب للعرش الامبراطوري فنقل حاشيتهُ معهُ من حمص ونصب صورتهُ بالحلة الكهنوتية وتمثال معبودهِ فوق هامة تمثال « النصر » الروماني مما استوجب غيظ مجلس الشيوخ وادَّى الى انتقامهم . ولا شكَّ ان المؤرخين الرومان المدفوعين بعامل الوطنية والنعرة الجنسية سوَّدوا صحيفة هذا الامبراطور السوري وبالغوا في سيئاتهِ . والحال ان السلام كان مدة ولايتهِ مستتبًّا من الداخل والخارج لاسيما وان المستعمرات السورية كانت تشدُّ ازرهُ . وانك لتجد في كتاب للعالم بوشير[1] ظهر حديثاً باللغة الانكليزية عن ولاية سوريا الرومانية فصلاً مخصوصاً عنوانهُ « العائلات السورية الحاكمة في رومية » جاء فيهِ على صغر عدد من الامبراطرة السوريين الذين تسنَّموا عرش القياصرة

وكان لسوريا في العالم اللاتيني شأن سياسي آخر بواسطة مشرِّعيها . فالوزير المستشار للاسكندر ابن م إيلجبلس وخلفهُ كان سوريًّا اسمهُ أُلپيان Ulpian وهو احد

(1) E. S. Bouchier, "Syria as a Roman Province" Oxford, 1916

اساتذة الشريعة الرومانية في كلية بيروت الشهيرة وقد شغل مناصب خطيرة في ايام سفيروس وكراكلا . وكان بنيان مستشاراً للامبراطور نيرون وسيد جولياً دمنا فكان اذن في الزاجج حصباً . ولما اخذ المشترعون ينشرون مجموعة الشرائع الشهيرة المنسوبة الى يوستنيانوس عمدوا الى تآليف هذين الفقيهين السوريين وضمنوها فيها فيصح ان يقال انهما من مؤلفيها وفيها بعض ما يحسب اعظم تحفة اهداها الرومان الى المدنية البشرية انما كان من نتاج العقل السوري

الفلسفة — لقد كان للفلاسفة السوريين التازحين في العالم الاوربي العقلي شأن كبير فالفلسفة الافلاطونية الجديدة هي اهم اتجاهُ العقل اليوناني الروماني بين زمن ارسطرطاليس والزمن الذي عمَّت فيه المسيحية اوربا . ومما يستحق الذكر ان واضعي اساس هذه الفلسفة واهم دعاتها لم يكونوا رومانيين ولا يونانيين بل سوريون منهم پورفيروس الشهير وتلميذهُ إيَمْبلكس Iamblichus الذي وُلد في كَلْسِس[1] Chalois

وُلد پورفيروس في مدينة صور عام ٢٣٣ ب . م وتخرَّج في كليات اثينا ورومية وكان اسمهُ الاصلي الشامي مَلْكُس (مشتق من مَلَك) فاتخذ لنفسهِ هذا الاسم اليوناني (ومعناهُ الارجواني) مما يدل ان غيرهُ من السوريين ذوي الاسماء اليونانية واللاتينية ربما كانوا من اصل عربي او فينيقي او سرياني آرامي . وهذا يذكرنا باسماء « سمعان بطرس » و« يوحنا مرقس » و « شاول بولس » وغيرهم . حتى ولو كان بعض هؤلاء المشاهير من اصل يوناني فانهم وُلدوا وتربَّوا في سوريا ووُلد فيها اباؤهم وربما اجدادهم من قبلهم ومَن منهم رجع الى سوريا فابناؤهُ لم يزالوا فيها حتى الآن . ولقد اطلق عليهم الجنسية السورية المؤرخون المعاصرون من يونان ورومان كما ورد معنا آنفاً عند ذكر الرواقي المثل پبليوس سيروس اي پبليوس السوري كذلك اطلقها العلماء الاوربيون الحديثون ومنهم الكاتب الانكليزي بوشير والاستاذ البلجيكي كومن[2] في كتابيهِ « عبادة مثرا السرية » و « الديانات الشرقية في الوثنية الرومانية »

العلم والادب — لم يقتصر تأثير هؤلاء على السياسة والفلسفة بل تناول العلم والادب ايضاً . فالفيلسوف الشاعر فيلوديمُس Philodemus كان في طليعة السوريين الذين نزحوا الى ايطاليا حيث احكم عرى الصداقة مع پيزو عدو شيشرون فهجاهُ شيشرون

(١) اشار اليها پريسكوس بهذا الاسم ايضاً وهي اليوم خرابات تحمل اسم Amjar

(٢) Franz Cumont, "Les mysteres de Mithra." "Les religions orientales dans le paganisme romain."

مجاه مرًّا . ونشأ في جدَرَة ثيودورس المنطقي الذي كان احد اساتذة رودس وهو استاذ الشاب الذي صار فيما بعد طيباريوس قيصر[1] . وقد قال الكاتب النقادة الشهير لوشان انهُ كان سوريًّا سريانيًّا لا يونانيًّا لغتهُ الآرامية مسقط رأسهِ سموسطه[2] ولد فيها عام ١٢٥ ب.م . كان لوشان على المذهب الابيكوري ودرس اليونانية في ايونيا (الشاطئ الغربي من اسيا الصغرى) ورجع الى انطاكية لممارسة الشريعة ولكنهُ عاد فاختار حرفة خطيب متجول فزار مكدونية وايطاليا وغاليسيا ثم استقرّ في اثينا حيث كتب معظم ما كتب . واهم تآليفهِ « الإلاهة السورية » "De Dea Syria" اقترح فيهِ وجوب عرض كل الآلهة للبيع بالمزاد العلني . واخيرًا اقامهُ الامبراطور كودس والياً على مصر حيث قضى نحبهُ . وكان معاصرهُ مكسيموس الصوري ايضاً خطيباً متجوّلاً يتنقل في آسيا واوربا الى ان اقام في رومية ولم يزل لدينا من خطبهِ احدى واربعون خطبة

واعظم المنطقيين[3] السوريين تأليفاً لبانيوس Libanius الذي وُلد في انطاكية عام ٣١٤ ب.م وبعد ان اكمل دروسهُ في اثينا انشأ مدرسة في القسطنطينية عاصمة الروم الجديدة حيث صادق الامبراطرة وخالط اكابر المأمورين واخصهم الامبراطور يوليانوس الذي عاشرهُ اشهراً في انطاكية وكانت انطاكية يومئذٍ رومية الشرق وثالثة مدن العالم المعروف من حيث كثرة السكان . ولما قبل تلميذهُ الذي عُرف بعدئذٍ باسم يوحنا فم الذهب التعليم المسيحي اظهر لبانيوس استياء شديداً وكان في جملة ما كتبهُ مقامات جدلية صُدّرت بهاخطب ديموستنيس الخطيب

وممن اشتهر في عهد الدولة الانطونينية النيلسوف المنطقي السوري ادريانوس احد اساتذة اثينا ورومية

الفنون الجميلة — اثبت العالم الثقاة دو ڤوغه Devogüé بفضل اكتشافاتهِ الحديثة في حوران ان سوريا كان لها بين القرن الاول والقرن السابع بعد المسيح اسلوب في البناء خاصّ بها . ومما لا ريب فيهِ ان البنّائين والحفّارين السوريين كان لهم تأثير يذكر في النمط المعروف بالبيزنطي . والنقاشون الذين زينوا جدران بومپاي اصلهم اما من الاسكندرية او من ساحل سوريا . والمهندس الاول للامبراطور تراجانوس واسمهُ اپولودرس الذي بنى لهُ

---

(١) سترابو ١٤ : ٢ و ٢٦ (٢) سماها جغرافيو العرب سيساط وتعرف اليوم باسم سمساط

(٣) اطلقنا لفظة « منطق » على "Rhétorique" وهو عند الاقدمين علم الكلام وكان يتناول المنطق وعلم اللغة والمعقليات وعلم العمران

قصره وهيكله والجسر العظيم الذي عبر عليه الدانوب الى داشيا (رومانيا) كان دمشقيًّا

الدين — اما اعظم تأثير أثّرهُ المهاجرون السوريون في العالم اليوناني والروماني هو التأثير الديني. فقد اشتهر السوريون في كل عصر ومكان بغيرتهم الدينية. وما من امة — حتى ولا الامة المصرية — تفوقهم في المحافظة على معتقدهم والدفاع عن آلهتها لاسيما تجاه الديانة المسيحية. وكان هؤلاء المهاجرين الاول بعد ان يستقر بهم المقام في المستعمرات ان يقيموا مذابحهم ويقدموا قرابينهم الروحية وينشئوا اخويّاتهم الدينية. وكانت مدن سورية تمدّهم بالاعانات المالية المتواترة لتحقيق هذه الغاية. ويظهر ان العامة بينهم كانت اقل من الكهنة والمتنبين وغيرهم من رجال الدين في نشر ديانتهم. فامتاء المستعمرين بالدينيات لم يكن اقل منهُ بالعلميات والدعاة الحقيقيون انما كانوا التجار والصنّاع في المدن البحرية والمراكز الصناعية والجنود والضباط في العاصمة وعلى الحدود والخدّام والخادمات في بيوت الاغنياء[1] والارقّاء في المزارع ومراكز الحكومة. وعلى هذه الصورة انتشرت في اوربا عبادة بعل دمشق وبعل هيليوبولس (بعلبك) وبعل حمص واظارغتس التي عمّت عبادتها سوريا وبعل مرقده الله بيروت (بَرِيثُس) الراقص وتموز (ادونس) الذي ناحت عليهِ نساء جبيل (بيبلوس) ومرثاس اله غزة الماطر. وآثار هيا كل هذه الآلهة لم تزل للبوم قائمة في ايطاليا وفرنسا واسبانيا وغيرها. وقد حاول امبراطرة الرومان مرّتين ابدال جوبتر الروماني ببعل السوري الامر الذي لا يستغرب من الدولة الرومانية السفيرية — وهي سورية الاصل — بقدر ما يستغرب من اورليانوس واصلهُ من إلّيركم (البانيا). فاورليانوس هذا ادخل الى رومية الهاً جديداً «الشمس التي لا تقهر» (Sol Invictus) والشمس مذكر عندهم واقام لهُ هيكلاً نفيساً وجعلهُ حامياً للملكة. والحقيقة ان جل ما عملهُ هذا الامبراطور انهُ نقل تمثال بعل من تدمر بعدما افتتحها جنودهُ

ومن الآلهة التي وجدت في نفوس الرومانيين مكاناً رحباً مثرا الاله الايراني الاصل الذي نشر السوريون عبادتهُ وزاحم الديانة المسيحية الى ان كاد يتغلّب عليها. وعندما أطلع كومودس على اسرار ديانة مثرا اخذ الحكّام والقضاة والاعيان يتسابقون لارضاء هذا الاله ويقدمون لهُ القرابين والنذور. ومن جملة الذين بنوا لهُ الهياكل ذيوفليطيانوس وكان يوليانوس من مريديهِ ومشيّدي عبادتهِ في القسطنطينية. ومن الآلهة التي انتشرت عبادتها

(١) تاسيطس ١٤ : ٤٤

عن يد الرحالين السوريين بعد دُليشه Delitzsch (عيناب) الذي رحلت عادته الى المانيا وبريطانيا وافريقية وبلغ ما وُجد من الكتابات باسمه لليوم نحو المئة واكثرها باللاتينية.

على ان تأثير هؤلاء المستعمرين في العصر المسيحي لم يكن باقل منهُ في العصر الوثني فهم الذين وضعوا اسس الحياة النسكية في بلاد الغرب . وكثير من آباء الكنيسة الاولين وشارحي عقائدها في مصر وبلاد اليونان وايطاليا يرجع اصلهم الى ارومة سورية . ولما كان ذلك معروفاً لدى الاكثرين او مما يسهل الوقوف عليهِ رأينا ان نكتفي بالاشارة الى اثنين فقط منهم على سبيل التمثيل

لم يقم بين علماء الكنيسة الاولين مَن اشتهر بالدفاع عن المسيحية اشتهار يوستينوس الشهيد . ولد عام ١٠٠ ب . م في فلاڤيا نيابولس (نابلوس) من ابوين وثنيين وبعد ان تنصَّر في افسس ابقى عليهِ الرداء الذي كان يتميز بهِ فلاسفة العصر[1] واخذ يتنقل من مكان الى آخر مبشّراً بالمسيحية الى ان انتهى بهِ الامر الى رومية فاستأجر فيها قاعة كبيرة كان يلقي فيها محاضراتهِ . واخيراً استشهد في ازمير عام ١٦٣ او ١٦٤ ب . م

وكما امتاز يوستينوس بدفاعهِ عن المسيحية كذلك امتاز يوسيبيوس بمعرفتهِ تاريخها . وكان كلاهما سوريًّا . ولد يوسيبيوس في فلسطين حوالي سنة ٢٦٠ ب . م وتوفي سنة ٣٤٠ . نزح الى مصر وسجن فيها بسبب معتقدهِ الديني ثم عيّن اسقفاً على قيصرية . لم يكن مفكراً كبيراً ولا لاهوتيًّا عظيماً ولكنهُ كان بلا نزاع اوسع رجال عصرهِ علماً واكثرهم معرفة . صادق الامبراطور قسطنطين وجلس الى يمينهِ في مجمع نيقية . واهم تآليفهِ تاريخ الكنيسة الشهير وبسبب هذا التاريخ أُطلق عليهِ لقب « ابو تاريخ الكنيسة »

وعلى الجملة ترون ان الرقيق والجندي والتاجر والكاهن كانوا من اهم الوسائط لنقل عمران سوريا الى اثينا وروميه من حيث السياسة والعلم والفنون الجميلة والدين وان انتصار اليونان والرومان على سوريا كان انتصاراً حربيًّا — وهو اقل الانتصارات . اما سوريا فانتصرت عليهم عقليًّا وروحيًّا . يظن الكثيرون ان التاريخ انما هو عبارة عن سرد سير العائلات الملكية والاحزاب السياسية والحقيقة ان الحاكم الحقيقي في كل زمان ومكان انما هو التاجر والمفكر والمتمول . حقًّا لقد صدق من قال : « ان الشرق الذي تغلبت عليهِ رومية ساد عليها وهي متغلبة عليهِ »

---

(١) Hist. Ecc., Eusebius جلد ٤ جزء ٣ ص ٨

العصر البندقي

في اواخر القرن السابع استحوذ امر العرب وانتشرت سطوتهم من جبل طارق الى خليج العجم . ولم يكونوا في اول عهدهم من البحارين بركوب البحار . ومع انهم على تعادي الايام اقتنوا الملاحة وسيّروا سفنهم حتى الصين شرقاً — على ما نصّ المسعودي — والبرتقال غرباً فان بدءهم وبعد من خلفهم في حكم سوريا من اثر وعمائك كانت ثقيلة على المدن التجارية التي على شطوط بحر الروم فضعفت التجارة البحرية وكثر قرصان البحر من اوقف تيار المهاجرة السورية لاسيما وان اوربا عندئذٍ كانت مضطربة الاحوال سائدة فيها الفوضى بداعي غزوات البرابرة من الشمال . ومن المشهور المتعارف ان عدداً ليس بقليل من تجّار العرب ومن المغاربة الذين عمت سلطتهم افريقية الشمالية الغربية والاندلس كانوا من عرب سوريا

تلك كانت الحال الى اواخر القرن الثاني عشر وانتهاء الحملة الصليبية الرابعة . فالحروب الصليبية المشؤومة كان من حسناتها انها جعلت الغرب يحتك ثانية بالشرق والمراكب التي نقلت المحاربين اخذت تنقل البضائع والحبوب . عندئذٍ اتسع للبندقية مجال التجارة وفتحت في وجهها سبل الاتصال مع سوريا واخذت سطوتها البحرية بالازدياد . وكما كانت صور الى ان خرّبها الاسكندر وقرطاجنة الى ان دمّرتها رومية هكذا اصبحت البندقية سيدة البحار وعروس البحر المتوسط

وكان في البندقية مستعمرة سورية زاهية ذكرها الكاتب الافرنسي دپنغ (١) مستنداً الى تاريخ البندقية لندولو (٢) وما قالاه في وصفها ان اكثر ابنائها من امهات سوريات وآباء بندقيين وانها على ما يظهر اندمجت في بقية سكان المدينة حيث انقطع ذكرها من التاريخ

وبقيت البندقية برغم منافسة جنوى وفلورنسا وعدائهما محتكرة تجارة البحر الى ان استولى الاتراك على القسطنطينية عام ١٤٥٣ فضربوها ضربة لم تكن بقاضية لولا ان اكتشفت طريق جديدة بين اوربا والهند هي طريق راس الرجاء الصالح فضعف شأن المدن البحرية السورية وتقلّص ظل البندقية

العصر الحديث

في اوائل القرن الرابع عشر انتشر استعمال الخلك (الابرة المغنطيسية) بين تجّار

(١) صفحة ٥٠٩ من جزء ٢ من سنة ١٨٢٧ G. D. Depping, Histoire de Commerce,

(٢) Chronica Venetiana, Dandolo.

ايطاليا والبرتغال وفرنسا وهولاندا . وفي عام ١٤٨٦ وصل دياز البرتغالي سفنه الى طرف افريقية الجنوبي . وبعد ذلك باحدى عشرة سنة ابحر مواطنه فاسكو داغاما حول افريقية واتصل الى الهند عن طريق الاتلانتيك . وقبل انتهاء ذلك القرن اكتشف كولمبس اميركا . فتحولت الانظار من الشرق الى الغرب واصبح مركز التجارة والعمران وبالتالي التمدن ليس على سواحل بحر الروم الشرقية بل الغربية واسس البرتغاليون بدل السوريين روّاد التجارة وقادة المهاجرة والاستعمار

نجم التجارة كنجم الملك سيره ابداً الى الغرب لكنهُ دائماً سابق لهُ . كان المستعمرون في العهد القديم فينيقيين فقرطاجنيين فيونانيًا فروماناً وفي العهد المتوسط سوريين فايطاليين من فلورنسا وجنوى والبندقية وفي العهد الحديث برتغاليين فاسبانيولاً فهولانديين فافرنسيساً فانكليزاً . وما ادراك ان تجار المستقبل ومستعمريه ليسوا اميركانًا فيابانيين فصينيين ؟

المهاجرون الى فرنسا — كثر بعد الحروب الصليبية عدد الذين هاجروا من سوريا الى سواحل فرنسا بقصد الاتجار او متابعة الدروس . اشار اليهم مراراً اغريغوريوس دي تور[1] وده غوين[2] وازداد عدد هؤلاء بعد ان منح الباب العالي لفرنسا امتيازات خاصة وذلك عام ١٥٣٥ لاسيما وان السلطان سليمان عقد في العام التالي معاهدة مع فرنسوى الاول خوّل فيها فرنسا دون سواها حق الاتجار مع المملكة العثمانية . ومما امتلأت نظرتا في براءة بعث بها الملك لويس الرابع عشر عام ١٦٤٩ قولهُ « وتأمر قناصل وتؤاب قناصل الدولة الفرنساوية . . . ان يركبوا في المراكب الفرنساوية او غيرها كل ماروني يريد ان يأتي الى بلاد النصارى اما لحرس العلوم او لغاية اخرى من غير ان يطلبوا منهم الاّ النول [الكمرك] الذي في وسعهم ان يدفعوهُ »[3] ويحق لنا من هذا ان نستنتج ان جمهوراً من الموارنة كان قبل هذه البراءة يذهب الى فرنسا والاّ فكيف خطر ذكر ذلك في بال الملك لويس الرابع عشر ولا شك ان كثيرين اغتنموا فرصة التسهيلات التي خوّلتهم اياها هذه البراءة . ولم يكن لويس الرابع عشر منفرداً في امر هذه البراءة فقد سبقهُ اليها لويس التاسع وجدد بعض عهودها لويس الخامس عشر وفيليبون الاول والثالث

ومما يدل على كثرة المهاجرين السوريين من غير الموارنة في بلاد الافرنسيس ان الروم

(١) غريغوري جلد ٤ فصل ٢٨

(٢) De Gouges, Mémoire sur le Commerce des Français dans le Levant.

(٣) تاريخ الدويهي صفحة ٣٢٠

الكاثوليك منهم كانوا سنة ٦ على كثرة من العدد بحيث تمكنوا من اقامة معبد خاص بهم في ليفورن

المهاجرون الى ايطاليا — كان من نتائج الحروب الصليبية انها احكمت عرى الوداد بين الطائفة المارونية والكرسي البابوي وكان الرهبان الكاثوليك من الفرنسيين وايطاليات يأخذون التلامذة السوريين الى اوربة. ولقد امتاز من بين هؤلاء التلامذة جبرائيل القلاعي الذي سافر سنة ١٤٧٠ مع الرهبان الفرنسيسكانيين من القدس الى رومية حيث لبس اسكيم مار فرنسيس مع رفيقه يوحنا فدرسا اصول اللغة اللاتينية وبرعا في العلوم الطبيعية والالهية وعاد جبرائيل الى قبرس اسقفاً وتوفي عام ١٥٠٦ عن تآليف تاريخية جمة

وبعد ان ارسل البطريرك سمعان الحدثي عام ١٥١٣ رسوله ليطلب لهُ التثبيت من رومية ووجد الرسول ما وجد من الصعوبة بدافعي جهلهِ اللاتينية شعر البطريرك بضرورة تعليم اللغة اللاتينية للرهبان الموارنيين فارسل عام ١٥١٥ مع رئيس الرهبان الفرنسيسكان قسين يصحبهما الخوري يوسف الى رومية لاحراز العلوم الدينية واللاتينية. ويوسف هذا هو اول من درّس اللغة السريانية في باريز. وفي عام ١٥٧٩ أرسل تلميذان آخران مع القاصد الرسولي. وعام ١٥٨١ اربعة. وعام ١٥٨٣ عشرة فلما رأى البابا غريغوريوس الثالث عشر هذا الاقبال من التلامذة المارونيين اسّس لهم عام ١٥٨٤ كلية وخوّل كلا من الاساقفة ان يرسل ستة من رعيته وعيّن خطةً في السدة البابوية للتلامذة المارونيين راتباً خاصاً. ولما توفي الكردينال كرافا سنة ١٥٩٠ ذهبت كل تركته بموجب وصيته وقيمتها عشرة آلاف سكودي الى هذه الكلية. ولما توفي نصر الله بن شلق وهو من مواليد الدقورة ومهاجري ايطاليا ترك ثروة طائلة لبناء كلية في راقنا وجعل وكيلهُ في ذلك القس جبرائيل الحصروني. فتأسست الكلية عام ١٦٣٩ وما لبثت ان انضمت عام ١٦٦٤ الى كلية رومية. كذلك اقام البابا غريغوريوس للموارنة مستشفى خاصاً على ما نصت البكلوريدية الكاثوليكية الامر الذي يدل على ان عدد الموارنة من تلامذة وغيرهم كان في رومية عظيماً. ولم يزل للموارنة في رومية لليوم حيّ معروف باسمهم زرناهُ لدى زيارتنا الاخيرة منذ اربع سنوات

وقد تخرّج في هذه الكلية المارونية في رومية عدد من العلماء الاعلام الذين نشروا

---

(١) الدرهبي ١٨١ — ١٨٣

اللغات الساميّة لاول مرة في اوربا وبذلك نشروا معرفة الفلسفة الشرقية والتاريخ والتمدن الشرقي . منهم من رجع الى سوريا ولبنان وشغل مناصب خطيرة من السدة البطريركية فما دون ومنهم من بقي في ايطاليا او نزح الى فرنسا يدرس ويدرّس . فمن خرّيجي هذه الكلية الذين عادوا الى بلادهم العالم اللغوي جرجس ميخائيل عميره الذي سيم بطريركاً عام ١٦٣٣ وهو مؤلف اول كتاب في اوربا في النحو السرياني . واسحق الشدراوي (ويعرف باللاتينية باسم Schadré) الذي اقيم اسقفاً على طرابلس الشام عام ٦٢٩ . ومن تآليفه كتاب نحو سرياني وترجمة كتاب « المناجاة بين المعلم والتلميذ » من اللاتينية الى العربية

ومن الذين امتازوا من خريجي رومية جبرائيل الصهيوني وباللاتينية (Sionita) الذي وُلد في اهدن عام ١٥٧٧ وتوفي في باريس عام ١٦٤٨ بعد ان كان استاذاً في الشانترا برومية ثم ترجماناً للملك لويس الثالث عشر فاستاذ اللغات الساميّة في السوربون واحد الساعدين في ترجمة التوراة الكثيرة اللغات (polyglot) اعطتهُ الجامعة الافرنسية لقب دكتور وكان يتقاضى الحكومة الفرنسية الفي ليرة سنويًا . كان جبرائيل احد الشابّين اللذين انتخبهما سفري ده بُرف من مدرسة رومية وارسلهما الى فرنسا لترجمة التوراة . وكان سفري هذا سفيراً لفرنسا لدى الباب العالي واحد المولعين بالدروس الشرقية . اما الشاب الثاني فهو حنا الحصروني الذي لم يقلّ علماً ومعرفة عن بوصيفهِ الصهيوني . ولقد جرى بين هذين العالمين ولاجاي (Le Jay) رئيس تحرير التوراة ومتولي طبعها خلاف ادّى الى تداخل الكردينال الوزير ريشاليو الشهير الذي اعتقل الصهيوني في سجن فنسن ثلاثة اشهر سنة ١٦٤٠ . ثم قام ابرهيم الحاقلاني (باللاتينية Eochelensis) المنسوب الى حاقل بلبنان . وكان استاذ اللغتين العربية والسريانية في البروبغندا برومية وفي الكلية الملكية بباريس ونشر عام ١٦٤١ ملخص تاريخ الفلسفة الشرقية باللغة الافرنسية ثم ترجم تاريخ ابن الراهب الحصري . وعملاً باقتراح فرنسد الثاني دوق تسكني ترجم من العربية الى اللاتينية الجزء الخامس والسادس والسابع من كتاب الهندسة تأليف ابولونيوس الذي عاش في الاسكندرية . توفي الحاقلاني في رومية عام ١٦٦٤ عن اربعة وستين تأليفاً في التاريخ الشرقي والفلسفة واللغات السامية

ومن علماء القرن السابع عشر اسطفان الدويهي صاحب التأليف الشهير في تاريخ الطائفة المارونية . اقام في رومية يدرس وينقب من عام ١٦٤١ الى عام ١٦٥٤ وتوفي بطريركاً عام ١٧٠٤ . وعاصرهُ مرهج نمرون (باللاتينية Faustus Naironius)

واصلهُ من بان في لبنان وبعد ان اتم دروسهُ في رومية شغل مركز خالد ابرهيم الخالداني في الشانيتزا وهو اول من وضع تاريخ الموارنة باللاتينية. توفي على قول دو لاروك[1] عام ١٧١٠

اما شيخ هؤلاء الفطاحل الاعلام واميرهم بلا نزاع فهو يوسف سمعان السمعاني وهو احد ثلاثة معروفين باسم السمعاني وقد جاءت حياتهُ حلقة الاتصال بين العلوم الشرقية والغربية. فالسمعاني ان لم يكن مبتدع العلوم الشرقية فهو بلا شك اول «مستشرق». وُلد عام ١٦٨٧ في طرابلس الشام ووالداهُ من حصرون ذهبا الى طرابلس اقتضاء فصل الشتاء فولد فيها. ومات في رومية عام ١٧٦٨. اوفدهُ البابا مرتين الى سوريا لجمع مخطوطات وكتب والنظر في معتقدات الكنيسة المارونية التي كانت تمارس اموراً غير مرضية في نظر اوريا الدين الكاثوليكي. في سنة ١٧٣٢ سماهُ كارلوس ادريانو ملك نابولي وصقلية مؤرخ مملكتهِ الرسمي ثم امران يحسب من اعيان تلك المملكة كالموجودين فيها. وفي السنة نفسها عينهُ البابا اكليمندس الثاني عشر مديرا ثانياً لمكتبة الفاتيكان فنشر ووقف على طبع عشرات من المخطوطات السريانية والعربية والاثيوبية والارمنية والفارسية والعبرانية واليونانية. اما اهم مؤلفاتهِ فهي «المكتبة الشرقية» التي لم تزل ليومنا هذا قبلة المستشرقين واهم مصدر يستقون منهُ

ملاحظة ختامية

كانت المستعمرات التي شادها الرومان نتيجة انتصاراتهم. ومستعمرات اليونان نتيجة احزاب سياسية تنشل فتترك البلاد. ومستعمرات البرتغال واسبانيا في اميركا وهولاندا في افريقيا الجنوبية وانكلترا في استراليا اكثرها زراعية وبعضها حربية. اما المستعمرات السورية فكانت بالاكثر تجارية. تلك قامت بها الحكومة او الامة وكثيراً ما امدتها بالمال وهذه قام بها الافراد مستقلين. تلك احتفظت بكيانها فطالت حياتها اما هذه فقصر اجلها وابتلع المحيط الجديد سكانها فاندغمت فيهِ. تلك كان لها غرض سياسي او حربي اما هذه فغرضها الارتزاق والكسب ومطاوعة ميل النفس الى التنقل والتجوال وهي مسببة في اوائل عهدها عن ازدحام السكان في سوريا وموقع سوريا الجغرافي اما في القرون الوسطى والحديثة فمن الاضطهاد الديني او القومي وعن الضغط الاقتصادي. وعلى الجملة فتاريخ الهجرة السورية انما هو فصل مفعم بالفوائد من تاريخ الهجرات ناطق بشجاعة السوريين وذكائهم واقدامهم وطموحهم الى المعالي

جامعة كولمبيا بنيويورك فيليب حتي

(١) De la Roque Voyage en Syrie et au Liban 1 صفحة ١٢١

الحياة بعد الموت

ومناجاة الارواح (تابع ما قبلهُ)

(خلاصة ما في اجزاء المجلد الخمسين — كان للسر اوليفر لدج العالم الطبيعي المشهور ولد اسمهُ ريمند وهو اصغر ابنائهِ قتل في هذه الحرب في فرنسا. وقد جاءهُ انذار قبل ذلك من اميركا من روح الاستاذ ميرس عن يد مسز بيبرس يشير الى قتلهِ . والاستاذ ميرس كان في حياتهِ من اكبر الباحثين في المباحث النفسيَّة ومناجاة الارواح ومسز بيبرس من اللواتي يمنَ النوم المنطيسي و يدعين مناجاة الارواح . ثم تكلم السر اوليفر لدج هو وزوجتهُ مع روح ابنهِ عن يد امرأة اسمها مسز كَنَدي وامرأة اخرى اسمها مسز ليونارد ورجل اسمهُ بيترس والاولى تكتب يدُها ما يوحى اليها او تفكر بهِ والثانية تناجي الارواح بواسطة مرشدة اسمها فدى توحي اليها او تحرك مائدة يضع الحضور ايديهم عليها و يتلون حروف الهجاء فتقف عند الحروف التي مجموعها يؤلف الكلمة او العبارة التي تريد الروح القاءها اليهم . والثالث يقع عليهِ الذهول فينطق بما تناجيهِ بهِ الارواح بواسطة مرشد لهُ اسمهُ مونستون . وقد الَّف السر اوليفر لدج كتابًا كبيرًا في هذا الموضوع فلخصنا منهُ ما تقدم وعقَّبنا عليهِ بما رأيناهُ موجبًا للشك في ان الوسيط كان يتكلم بلسان الروح . ووعدنا بتلخيص ما بقي والتعقيب عليهِ بما نراهُ وانجازًا لذلك نقول)

مهما نسبنا من الذهول الى السر اوليفر لدج واهل بيتهِ لا ننسبهُ اذا لم نقل انهُ تحرَّى البحث تحريًا دقيقًا جدًّا واشار الى كل ما يحتمل وقوع الخطإ فيهِ اشارة عالم محقق شأنهُ في سائر مباحثهِ العلمية . فقد قال مثلاً في حركات المائدة انهُ لا يمكن الاعتماد عليها اذا كان الامر الذي تُسأل عنهُ معروفًا لدى احد من الذين يضعون ايديهم عليها لئلاَّ يحركوها ولو على غير قصد منهم حركات تطابق ما يعلمونهُ عن الشيء الذي تسأل الروح عنهُ . ولكننا نرى ان شروط البحث في هذا الموضوع تستلزم ان تفرض فرضين آخرين الاول ان الذين يعتقدون بصحة حركات المائدة معرَّضون للذهول الذاتي وهؤلاء متى ذهلوا تذكروا امورًا محفوظة في عقلهم الباطن لا يتذكرونها في حال الانتباه كما ان النائم يتذكَّر امورًا لا يتذكرها في اليقظة بل قد ينساها في اليقظة بعدما يتذكرها في الحلم . والثاني ان المعرضين للذهول او للتهيج العصبي يرون اشياء لا يراها غيرهم ولا وجود لها في الخارج و يسمعون

اصواتاً لا يسمعها غيرهم ولا وجود لها في الخارج وامثلة ذلك كثيرة لا تحصى . فكم من شخص يقول انهُ يرى في القمر صورة وجه انسان او وجه رجل ووجه امرأة ولا تستطيع ان تصرفهُ عن اعتقادهِ هذا مهما حاولت بل قد تصير ترى ما يراهُ هو . واذا ثبت ان الانسان يذكر في حالة الذهول اموراً يكون قد عملها ونسيها وهو في حالي الانتباه وانهُ قد يرى ويسمع اشياء واصواتاً لا وجود لها لانهُ يتوقعها او يتوهمها — اذا ثبت ذلك وهو ثابت سهل تعليل اكثر ما روي عن مناجاة الارواح كما ظهر لنا بالاختبار

لكن السر اوليفر لدج لم يراعِ هذين الفرضين على ما يظهر كأن رغبتهُ الشديدة وثقتهُ الاكيدة في اثبات مناجاة الارواح حملتاهُ على اغفالها واكتفى باستنباط مسائل لا يعرف الوسطاء حلها . قال ان اولادهُ كانوا لا يزالون يشكّون في صحة هذه المناجاة فاجتمعوا واستنبطوا مسائل تشير الى امور طفيفة يحسبون ان احدهم لا يزال يتذكرها ولكنهُ هو اي السر اوليفر لا يعرفها لانها حدثت لهم وهم يقضون فسحة الصيف في اماكن بعيدة عنهُ متنزهين بالاوتوموبيل . وكتبوا هذه المسائل وسلموها اليهِ في ١٢ اكتوبر سنة ١٩١٥ في ظرف مقفل فاخذها وذهب بها الى لندن وفتح الظرف في الطريق وهو ذاهب الى بيت الوسيطة مسز ليونارد وكانت لادي لدج معهُ وجلسا حول المائدة الساعة الخامسة والدقيقة ٣٠ بعد الظهر

وقد حضر هذه الجلسة الدكتور كندي وزوجتهُ . وقال السر اوليفر في بداءة الجلسة انهُ جاء قصد الوقوف على ادلة مزكّاة وانهُ قد استعدَّ لذلك ولا بدَّ من ان الارواح تحسن ما فعل وتساعدهُ على اظهار الحقيقة . وبعد ثلاث دقائق ونصف تحركت المائدة حركة خفيفة فقال السر اوليفر أبولس هنا (وهو ابن مسز كندي وكان قد توفي)

المائدة — نعم

لدج — أتيت بريند معك

المائدة — نعم

لدج — أنت هناك يا ريند

المائدة — نعم . فحيتهُ امهُ اولاً وقال ابوهُ — هوذا يا ابني قد اتيتك بمسائل يظن اخوتك انك تعرف ان تجيب عنها اما انا فلا اعرف شيئاً عنها وغرضهم ان يتحققوا اننا لا نساعدك في الاجابة على غير قصد منا كما يحدث لو كنا نعرف اجوبتها اما الآن فلا احد من الحضور يعرف اجوبة هذه المسائل فهل فهمت مرادي

المائدة — نعم

لدج — احسنت اذاً هل ابتدئ

المائدة — لا

لدج — اراك تريد ان تقول شيئاً قبل ذلك

المائدة — نعم

لدج — اذن تلو حروف الهجاء

المائدة — قل لهم الآن اجتهدوا لتثبتوا ان عندي رسالة الى العالم

(اي ان الكاتب كتب الحروف التي وقفت عندها المائدة فكان منها هذه العبارة)

لدج — اهذا كل ما تريد ان تقوله المائدة — نعم

لدج — اذن اتلو عليك مسألة من مسائل اختبارك ولا بدّ لي من ان اقول لك قبل ذلك انهُ لا ينتظر منك ان تفهم دائماً المراد او ان تجيبنا عن كل هذه المسائل فاذا تعذّرت عليك الاجابة عن مسألة فاني انتقل الى غيرها . فلا تستعجل ونحن نكتب ما تقولهُ لنا . والمسألة الاولى هي هذه التذكر شيئاً عن الارغونوط Argonauts اي هل تجد لهذه الكلمة علاقةً ما في ذهنك . تمهّل وافكر

المائدة — نعم

لدج — اتريد ان تقول لي ما الذي تتذكرهُ من امرها

المائدة — نعم

ثم تليت حروف الهجاء فكان مجموع الحروف التي وقفت عندها المائدة كلة تلقراف

لدج — اهذه نهاية الجواب المائدة — نعم لدج — اذن تقدّم الى المسألة الثانية وهي ماذا تتذكر من امر دارتمور Dartmoor

والحال شرعت المائدة تتحرك ووقفت عند حروف معناها « نازلون »

لدج — اهذا كل ما تريد ان تقولهُ

المائدة — لا

لدج — اذاً كمّل الجواب

المائدة — هل فري HILL FERRY

لدج — اهذا كل ما تريد ان تقولهُ

المائدة — نعم

لدج — اذن اذكر لك المسألة الثالثة وهي معقّدة نوعاً عن ما يظهر لي ماذا تفهم بقولنا « اقرود O. B. P. اخت القيصر »

وعقّب السر اوليفر لدج على ذلك قائلاً « ان اجوبة هذه المسائل الثلاث لم تكن طبق المراد والظاهر انها لم تذكرهُ بما يراد بها . ثم سئل عن اسم الشخص الذي اعطاهُ كتبهُ فاجاب جواباً صحيحاً ولكننا نحن كنا نعرف اسمهُ »

لكن السر اوليفر لدج لم يكتفِ بذلك بل بحث عن علاقة الاجوبة الثلاثة الاولى بمسائلها فعلم من بنائهِ ان الجواب الاول وهو كلمة تلفراف علاقة بكلمة ارغونوط فان اولادهُ وريمند معهم ساروا للنزهة بالاوتوموبيل في العام السابق وبحثوا بتلفراف الى البيت وقصدوا بكلمة « ارغونوط » اما ابناؤهُ فلا يتذكرون ذلك بل قالوا انهم ارادوا بكلمة ارغونوط اسم بحث وصفهُ بعضهم وصفاً شعرياً نفيساً في كتاب قرأوهُ هم وأخوهم معاً . وعندنا ان كان الامر كما قال السر اوليفر فلا يبعد ان تكون زوجتهُ رأت ذلك التلفراف وتوقيع ابنائها فيهِ وبقي هذا محفوظاً في ذهنها الباطن فتحكمت في حركات المائدة بحسبهِ وهي لا تدري

اما الجواب " دارتمور " فقال اخوتهُ فيهِ انهُ صحيح ولكنهُ ليس المراد وانهم لا يتذكرون وجود قري هناك (ومعنى قري ferry معدية او عبّارة او معبر) . قال السر اوليفر « وفي ٢٢ اكتوبر سألت مسز ليونارد ان تستحضر ريمند وتسألهُ عمّا اراد بكلمة دارتمور وبكلمة قري فاجابها بلسان فندي مرشدتها « انهُ حدث ما يوجب الخوف فوضعوا الغرملة (الضاغطة) على عجل الاتوموبيل ونزلوا في المنعطف » . فظننت حينئذٍ ان هذا الكلام من قبيل الهذر ثم وجدت لدى البحث ان ريمند واخوتهُ لما كانوا في النزهة التي اشرت اليها انكسر المكث (السلسيه) الذي في الاوتوموبيل فخرج منهُ صوت يصمّ الآذان وكان امامهم اكمة عالية واقفة ثم نزلوا في منحدرات شديدة ورأوا امامهم اكواماً ضيقة فشدوا الضاغطة . وكانوا ينتظرون ان يشير ريمند الى الصوت الذي سمعوهُ عند انكسار المكث فلم يشر اليهِ . وعند السر اوليفر ان ريمند اصاب ولو لم يأتِ جوابهُ مطابقاً لما رادهُ اخوتهُ

ويظهر لنا ان حادثة مثل هذه يتعرّض فيها اولاد السر اوليفر لدج للخطر الشديد بعد ان لا تكون قد ذُكرت بتفاصيلها في بيتهِ مراراً وعرف بها هو وزوجتهُ والجيران

والمعارف فاثّرت معرفتهُ او معرفة زوجتهِ لها في حركات المائدة او انطقت مسز ليونارد بشيء مما سمعتهُ قبلاً عن هذه الحادثة

ثم سألها السر اوليفر قائلاً هل قال ريمند شيئاً عن الفري

فاجابت انهُ لا يتذكر انهُ قال شيئاً

لدج — ولكن انا اتذكر

الوسيطة — قال لم ولكنهُ لا يريد ان يذكر شيئاً عنهُ الآن و يقول ان ذكرهُ كان على سبيل العرَض وقد اراد ان يقول تلهّ لا معبراً ولا علاقة بين الاثنين

قال السر اوليفر انهُ راجع ريمندُ مرةً اخرى في مسألة الفري فقال انهُ لهُ علاقة بزهتهِ مع اخوتهِ بالاتوموبيل ولو كان البعض لا يحسنونهُ فري . ثم كتب اليهِ ابنهُ اسكندر في ٨ اغسطس سنة ١٩١٦ يقول انهم وهم سائرون في تلك النزهة مروا بالمدينة بريتن فري (وهي مدينة بحرية صغيرة في بلاد ويلس) حيث رأوا معبراً صغيراً جميلاً

و يظهر لنا ان كل ما تقدم من هذه الادلة يمكن تعليلهُ بان رحلة اولاد السر اوليفر لدج كانت اخبارها معروفة في بيتهِ و بين زوارهِ وذلك اقرب الى العقل من فرض امور تخالف اختبار جمهور الناس في كل العصور

لكن هذه الجلسة مع مسز ليونارد لم تنتهِ هناك بل جاءت فيها امور اخرى ذكر السر اوليفر بعضها بالتفصيل قال . قالت الوسيطة يظهر لي انهُ ينتظر مجيء اخيهِ الى هنا الآن

لدج — سيأتي اخوك ويراك غداً

الوسيطة — اين هو فان ريمند يظن ان اخاهُ هنا او انهُ سيأتي الى هنا قريباً فانهُ يريد ان يتصل بهِ بنفسهِ وقد حاول مخاطبتهُ و يظهر ان لهُ علاقة بمسز كاتي[1] وقد جرّب ان يكتب اليهِ . والامر الذي يتعبهُ انهُ لا يستطيع ان يستجلي ما يراهُ . (ثم التفتت الى لادي لدج وقالت) انهُ يراكِ حينما تكونين جالسة الى المائدة و يرى ما تكونين لابسةً واذا اراد ان يأتي اليك ادرك وجودك بشعورهِ الباطن فقط واما في جلسة المائدة فيراكِ فعلاً

لدج — هل رأى اخوتهُ حول المائدة

الوسيطة — لا يراهم حول المائدة بل يشعر بوجودهم شعوراً واقتكر انهم يحاولون التكلم معهُ ولكنهُ لم يشعر كأنهُ سيدلو منهم . ولا بد من الوسيط

لادي لدج — متى رأتي

(١) اسم مسز كندي الذي تسميها به قدى مرشدة مسز ليونارد فان اسمها الاصلي كاترين

الوسيطة — اذا كانت الوسيطة حاضرة رآك جلياً . لم يرَكِ هنا بل في مكان آخر رآك في مكان آخر في لندن منذ مدة وقد دُهش لما رآك ولم يفهم كيف رآك . وهو انما يفكر بالامور التي يريد ان يقولها . قولي لهم ليواظبوا على خطتهم وهذا لا يتعبني ابداً قولي لهم ليصبروا والامر يهمني اكثر مما يهمهم » . لا يظهر انهُ اتم شيئاً وهذا مما يستغرب فانهُ ليس على ثقة من انهُ قد قال ما يود ان يقول الاَّ اذا كان الامر واضحاً جداً وادركتم معناهُ حالاً . احياناً يشعر شعوراً و يتلمَّس تلمساً . يجب ان يتساهلوا معهُ ولا يفرطوا في سؤالهِ مرةً واحدةً . اذا صبروا استطاع ان يأتي وقتاً ما ويخاطبهم كأنهُ حاضر معهم

لادي لدج — اتعنين انهُ سيخاطبنا بصوت مسموع

الوسيطة — كلا بل بواسطة الفائدة . واهم من الكلام انجاز الامور مع اهلهِ واقامة الادلة القاطعة لهم . ولا يريد ان يتعبوهُ بمسائل يمتحنونهُ بها امتحاناً قبل يعتاد مخاطبتهم . لا مانع من هذه المسائل هنا حيث يوجد وسيطة ولكن ليس الامر كذلك في كل مكان . قولي لهم ليثقوا انهُ هو نفسهُ الذي يتكلم و بعد قليل سيصير قادراً على مخاطبتهم رأساً و يقول لهم كل ما يريد ان يقولهُ . انهم مهتمون بامتحانهِ . متى جاء جدهُ يختفي عنهُ بعض المشقة . وهو لا يريد ان يتكلم بنفسهِ مرتين في الاسبوع . اتى الآن ومعهُ ابنة فتاة نامية في الروح لتربهُ شعرها ذهبي طويل وهي طويلة القامة جميلة المنظر وفي يدها زنبقة . وحنا روح ولد آخر ذهب طفلاً لا تعرفونهُ اذا رأيتموهُ كما هو الآن . يظهر ان عمرهُ مثل عمر ريمند وقد احضر معهُ W (جدهُ لامهِ) وقلما يعرف شيئاً عن الارض او عن الزنبق فانهُ ذهب طفلاً وكلاهما مع ريمند ويظهر انهما روحيان صغيرا السن فان الاشخاص الروحيين يبقى منظرهم منظر الحداثة اذا ذهبوا في حداثتهم . وريمند واقف في الوسط بينهما . و يقول ان هذا لا ينطبق على العلم . وهو مسرور الآن ولا يقول ذلك لكي يرضيكم بل هو مسرور حقيقةً ويقول ان الامر يسرهُ اكثر مما كان يسرهُ على الارض حسين ضعفاً لان مجال العمل واسع جداً هناك وانهُ هو وابوهُ سيعملان اعمالاً عظيمة . وقد قال انهُ يساعد باقصى جهدهِ (والتفتت الى لادي لدج وقالت) اذا كنتِ مسرورة زاد مروري انا ايضاً . لقد كنتِ محتسرين وهذا يؤلمهُ كثيراً لكن الامر هان عليكِ الآن . اما ابي فرحب الصدر وقد كان مع بولس وذهب ورأى مصر كاتي ايضاً

لادي لدج — اي الطرق اسهل عليهِ

الوسيطة — يقدران يؤثر فيكم تأثيراً كافياً ان يخاطبكم كتابةً و يظن انهُ سيستطيع

ان يجعل صوتهُ مسموعاً لكم اي يجعلكم من الذين يسمعون اصوات الارواح . فلا محل لاسادة الظن فانهُ يشوّش ذلك لارضاء نفسهِ و يشوقع النجاح فيهِ

لدج — يمكنك ان تبلغنا ذلك بوسائل مختلفة

الوسيطة — قال نعم ولا حاجة بهِ الى الافاضة ولكنهُ سيفكّر في الامر و يقدر ان يدع مسز كندي تكتب ما يريد ثم يتكلّم بواسطة المائدة ويحسب انهُ يستطيع ان يفعل كثيراً بواسطتها . و يعلم ان بولس هنا

لدج — اظن ان الافضل لنا ان نجرب ذلك في اليوم نفسهِ او في يوم آخر

الوسيطة — في اليوم نفسهِ اولاً وانظروا ماذا تكون النتيجة وهو يسر جدًّا ولو اتفقت مسز كندي والمائدة في كلمة واحدة فقط . وسيجتهد لكي يقول بواسطتها كلمة واحدة في اول الامر ثم كلمتين ثم ثلاثاً

مسز كندي — اريد ان اطلب منهُ لكي يجعلني اكتب كلمة عن لسانهِ

الوسيطة — سيفتكر بكلمة يناجيك بها وعليك ان لا تشكّي بل تكتبي ما يناجيك بهِ فان كلمة واحدة قد تكون ادل من خطبة طويلة . كلمة واحدة تكفي ولو كانت خالية من المعنى . لقد طفر الآن (اي فرح فرقص فرحاً) وقال ان الامر صعب عليهِ لانهُ مضطر ان يتكلم بواسطة وسيط ولذلك يتعذر عليهِ ان يقول كل ما يريد ان يقولهُ ومع ذلك فانهُ يظن انهُ نجح جدًّا هذه الليلة

ان كلام هذه الوسيطة بعضهُ عن لسان فدى مرشدتها وبعضهُ تلقتهُ فدى عن ريمند ابن السر اليفر لدج . وفي بعضهِ اشارات الى جلسات سابقة وردت خلاصتها في الاجزاء السابقة . ويظهر عليهِ كلهِ ان المرأة محتالة قاصدة التدجيل على غيرها او مخلصة ولكنها عصبيَّة تنبّه ذهنها الباطن فذكر بعض ما في محفوظهِ وهي لا تدري ما تقول

والظاهر ان اولاد السر اوليفر لدج اقتنعوا بعد ذلك ان روح اخيهم ريمند كانت تتجلّى للوسطاء وتكلمهم بواسطتهم كما اقتنع ابوهُ وامهُ وسنورد خلاصة بعض الجلسات التي ناجتهم روحهُ فيها ونعقّب عليها بما يبدو لنا ونتتبع هذا الموضوع الى آخر ما وصل البحث فيهِ الآن لانهُ اهم المواضيع التي طرقها العلماء والفلاسفة في كل مكان وزمان . ولا اهم من اثبات الحياة بعد الموت والحالة التي تكون فيها نفس الانسان بعد موتهِ اثباتاً علميًّا مبنيًّا على المشاهدة والحس والامتحان

طرائف من ادب العرب

(٤)

جاؤا على بكرة ابيهم

« مثل يُضرَب للجماعة اذا جاؤا كلهم ولم يتخلف منهم احد . والبكرة الفتية من الابل . واصل هذا المثل انهُ كان لرجل من العرب عشرة بنين فخرجوا الى الصيد فوقعوا في ارض العدو فتناولهم ورؤسهم في مخلاة وعلقوا المخلاة في رقبة بكرة كانت لابي المقتولين . فجاءت البكرة بعد هدوة من الليل فخرج ابوهم وظن ان الرؤوس بيض النعام وقال قد اصطادوا نعاماً وارسلوا البيض فلما انكشف الامر قالت الناس جاء بنو فلان على بكرة ابيهم »

قال في تاج العروس : جاؤا على بكرة ابيهم اذا جاؤا جميعاً على آخرهم . وقال الاصمعي جاؤا على طريقة واحدة . وقال ابو عمرو جاؤا باجمعهم . وفي الحديث جاءت هوازن على بكرة ابيها هذه كلمة العرب يريدون بها الكثرة وتوفير العدد وانهم جاؤا جميعاً لم يتخلف منهم احد . وقال ابو عبيدة معناهُ جاؤا بعضهم في اثر بعض وليس هناك بكرة حقيقة . قال ابن جني وعندي ان قولهم جاؤا على بكرة ابيهم بمعنى جاؤا باجمعهم وهو قولك بكرت في كذا اي تقدمت فيهِ ومعناهُ جاؤا على اوليتهم اي لم يبقَ منهم احد

وقال الزمخشري في اساس البلاغة « وجاؤا على بكرة ابيهم اي جميعاً والاصل حديث الدهيم »

اما الدهيم فناقة عمرو بن الزبّان الذهلي قتل هو واخوتهُ وحملت رؤوسهم عليها فقيل اشأم من الدهيم . قال لسان العرب « وقيل للداهية دُهيم ان ناقة كان يقال لها الدهيم وغزا قوم من العرب قوماً فقتل منهم سبعة اخوة فحملوا على الدهيم فصارت مثلاً في كل داهية . قال شمر وسمعت ابن الاعرابي يروي عن المفضل ان هؤلاء بنو الزبّان ابن ثُمالة خرجوا في طلب ابل لهم فلقيهم كثيف بن زُهير فضرب اعناقهم ثم حمل رؤوسهم في جُوالق وعلقهُ في عنق ناقة يقال لها الدهيم وهي ناقة عمرو بن الزبّان ثم خلاّها في الابل فراحت على الزبان فقال لما رأى الجوالق اظنّ بنيّ صاروا بيض نعام ثم اهوى بيده فادخلها في الجوالق فاذا راس فلما رآهُ قال آخر الدهر على القنوص فذهبت مثلاً وقيل اثقل من حمل الدهيم واشأم من الدهيم »

وتجد في القواميس تحت باب الخاء ما نحواهُ : خوتعة رجل من غُفيلة دلّ كشيف بن عمرو الغفيلي واصحابهُ على بني الزبّان الذهلي لثار كان عند عمرو بن الزبان . فأتوهم وقد جلسوا على الغداء . فقال عمرو لا تشب الحرب بيننا وبينك . قال كلاّ بل اقتلك واقتل اخوتك . قال فان كنت فاعلاً فأطلق هؤلاء الذين لم يتلبسوا بالحروب فان وراءهم طالباً اطلبَ مني بمني اباهم . فقتلهم وجعل رؤوسهم في مخلاة وعلقها في عنق ناقة لم يقال لها السميم . فجاءت الناقة والزبّان ابوهم جالس امام بيته فبركت . فقامت الجارية وجسّت المخلاة فقالت قد اصاب بنوك بعض النعام وادخلت يدها فاخرجت رأس عمرو ثم رؤوس اخوته . فغسل الرؤوس ووضعها على ترس وقال آخر البرّ على القرص[1] اي هذا آخر عهدي بهم . وثبت الحرب بينهُ وبين بني غفيلة حتى ابادهم فضرب بخوتعة المثل في الشؤم . يقال هو أشأم من خوتعة . ويقال ايضاً للرجل الصحيح الكلام هو اصحّ من خوتعة لانهُ اخبر كشيف بن عمرو الخبر الصحيح

شيء من التوراة

« من لم يؤمن بقضائي ولم يصبر على بلائي ولم يشكر نعمائي فليتخذ ربّاً سوائي . من اصبح حزيناً على الدنيا فكأنما اصبح ساخطاً عليّ . من تواضع لغنيّ لاجل غناهُ ذهب ثلثا دينهِ . يا ابن آدم ما من يوم جديد الاّ ويأتي اليك من عندي رزقك وما من ليلة جديدة الاّ وتأتي اليّ الملائكة من عندك بعمل قبيح . خيري اليك نازل وشرك اليّ صاعد . يا بني آدم اطيعوني بقدر حاجتكم اليّ واعصوني بقدر صبركم على النار واعملوا للدنيا بقدر لبثكم فيها وتزودوا للآخرة بقدر مكثكم فيها . يا بني آدم زارعوني وعاملوني واسلفوني ارجكم عندي ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . يا ابن آدم اخرج حب الدنيا من قلبك فانهُ لا يجتمع حب الدنيا وحبي في قلب واحد ابداً . يا ابن آدم اعمل بما امرتك وأكفِ عما نهيتك اجعلك حيّاً لا تموت ابداً . يا ابن آدم اذا وجدت قساوة في قلبك وسقماً في جسمك ونقيصة في مالك وحريمة[2] في رزقك فاعلم انك قد تكلمت فيما لا يعنيك . يا ابن آدم اكثر من الزاد فالطريق بعيد وخفف الحمل فالصراط دقيق وأخلص العمل فان الناقد بصير واخّر نومك الى القبور وتحرك الى الميزان ولتأنك الى الجنة وكن لي اكن لك وتقرب اليّ بالاستعانة بالدنيا تبعد عن النار . يا ابن آدم ليس من انكسر

(١) البرّ السلاح كله . والقرص الناقة الشابة او البكرة (٢) حريمة الرجل التي حرمها او منعها من شيء

مركبهُ وبقي على لوح في وسط البحر باعظم مصيبة منك لانك من ذنوبك على يقين ومن عملك على خطر »

واقد قضيت يومًا بليلته بين دفتي التوراة والانجيل فلم اعثر على هذه الآيات على عمومِ معانيها ولا على ما يشبهها الاَّ قولهُ « اخرج حبَّ الدنيا من قلبك فانهُ لا يجتمع حب الدنيا وحبي في قلب واحد ابداً » فان لهُ ما يشبههُ في قول الانجيل « لا يقدر احد ان يخدم سيدين . لانهُ اما ان يبغض الواحد ويحب الآخر او يلازم الواحد ويحتقر الآخر . لا تقدرون ان تخدموا الله والمال » . والاَّ قولهُ « ما لا عين رأت الخ » فقد جاء في احدى رسائل بولس الرسول قولهُ « ما لم ترَ عين ولم تسمع اذن ولم يخطر على بال انسان الخ » . وقد عثرت في المثل السائر لابن الاثير الكاتب . وفي البيان والتبيين للجاحظ . وغرر الخصائص الواضحة للوطواط . والعقد الفريد لابن عبد ربهِ . والكامل لابن الاثير المؤرخ . ومروج الذهب للمسعودي . والكشكول للعاملي . والمستطرف للابشيهي على آيات قيل انها اخذت من التوراة وهي ليست فيها لا مبنًى ولا معنًى — لا في التوراة التي بين ايدي اليهود ولا في التوراة التي بين أيدي المسيحيين على شدة الخصام بين الامتين

الارض والقمر

« كما ان جرم القمر يقبل ضوء الشمس لكثافتهِ وينعكس عنهُ لصقالتهِ كذلك الارض تقبل ضوءها لكثافتها وتنعكس عنها لصقالتها لاحاطة الماء باكثرها وسيرورتها معها ككرة واحدة [1] . فاذن لو فرض شخص على القمر تكون الارض بالقياس اليهِ كالقمر بالنسبة الينا . وبحركة القمر حول الارض يخيل اليهِ انها متحركة حولهُ ويشاهد الاشكال الهلالية والبدرية وغيرها مدة شهر . لكن اذا كان لنا بدر كان لهُ محاق واذا كان لنا خسوف كان لهُ كسوف لوقوع اشعة بصرهِ داخل مخروط ظل الارض ومنعهِ اياها من وقوعها على المستنير من الارض والماء والشمس . واذا كان لنا كسوف كان لهُ خسوف لوقوع اشعة بصرهِ داخل مخروط ظل القمر ومنعهِ اياها ان تقع على الارض . وكما يرى على وجه القمر الحر يرى على وجه الارض مثلهُ »

هذا البيان الفلكي صحيح اجمالاً لا تفصيلاً . فان القمر لا ينعكس ضوء الشمس لصقالتهِ

(١) في هذه العبارة خطأ واضطراب فاشتان ما تعدد الضمائر وصعوبة ارجاعها الى الاسماء التي تناسب مثلها . وصوابها « كذلك الارض تقبل ضوء الشمس لكثافتها هي وينعكس عنها هذا الضوء لصقالتها من احاطة الماء باكثرها وسيرورتها معهُ ككرة واحدة »

ولا الارض تعكسهُ لذلك اذ لا حاجة للجسم ان يكون صقيل السطح ليعكس النور عنهُ . ومن رأيهِ ان الارض صقيلة لاحاطة الماء باكثرها ولا بدَّ ان يكون هذا حال القمر ايضاً في زعمهِ . ولكن المشهور ان القمر ارض سوات لا ماء فيهِ ولا هواء . اما المحو فقد كانوا يظنون انهُ ما بهِ يعرف الليل من النهار والنهار من الليل كما جاء في حديث هرقل ومعاوية . ولم يقل لنا صاحب الكشكول رأيهُ فيهِ وكلّ ما قال انهُ يُرى على وجه الارض من القمر مثل المحو الذي نراهُ نحن على القمر . وليس ذلك ببعيد فان المحو الذي نراهُ في القمر هو صورة ما فيهِ من الجبال والسهول . ولما كانت الارض كثيرة الجبال والبحار والسهول فلا بدع ان يرى سكان القمر عليها ما يراهُ سكان الارض عليهِ

الرشيد والبهلول

« لما وصل الرشيد الكوفة قاصداً الحج خرج اهل الكوفة للنظر اليهِ وهو في هودج عالٍ فنادى البهلول يا هرون يا هرون فقال من الجنيُّ علينا . فقيل هو البهلول . فرفع السجف فقال البهلول يا امير المؤمنين روينا بالاسناد عن قدامة بن عبدالله العامري قال رأيت رسول الله صلى الله عليهِ وسلم يرمي جمرة العقبة لا ضربٌ ولا طردٌ ولا قال اليك اليك . وتواضعك يا امير المؤمنين في سفرك هذا خيرٌ من تكبرك . فبكى الرشيد حتى جرت دموعهُ على الارض وقال احسنت يا بهلول زدنا . فقال ايها رجل آتاهُ الله مالاً وجمالاً وسلطاناً فانفق مالهُ وعفَّ جمالهُ وعدل في سلطانهِ كتب في ديوان الله من الابرار . فقال لهُ الرشيد احسنت وامر لهُ بجائزة فقال لا حاجة لي فيها ردَّها الى من اخذتها منهُ . قال فيجري عليك رزقاً يقوم بك . قال فرفع البهلول طرفهُ الى السماء وقال يا امير المؤمنين انا وانت عيال الله فمحال ان يذكرك وينساني »

والبهاليل فرقة من المتصوفة والبهلول المذكور هنا هو ابو وهيب بن عمرو الصيرفي الكوفي المعروف ببهلول المجنون . قال الصلاح الكتبي في فوات الوفيات « وكان من عقلاء المجانين ولهُ كلام مليح ونوادر واشعار . استقدمهُ الرشيد وغيرهُ من الخلفاء ليسمعوا كلامهُ » . وذكر الشعراني ان الرشيد اجتمع بهِ يوماً فقال لهُ كنت اشتهي ان ارالك فقال لكني انا لم اشتق اليك . فقال لهُ عظني . قال بمَ اعظك هذه قصورهم وهذه قبورهم . ثم قال كيف بك يا امير المؤمنين اذا اقامك الحق تعالى بين يديهِ فسألك عن الفقير والفتيل والقطمير (هما القشرة الرقيقة بين النواة والتمرة) وانت عطشان جوعان عريان واهل الموقف ينظرون اليك ويضحكون عليك . فخنقتهُ العبرة . وكان بهلول مجاب الدعوة فامر لهُ الرشيد

بصلة فردها عليهِ وقال ردّها الى من اخذتها منهُ قبل ان يطالبك بها اصحابها في الآخرة فلا تجد لم شيئاً ترضيهم بهِ . فبكى الرشيد »

زهد الخلفاء الراشدين

ولست نقرأ في كتب الادب اجمل مما قيل عن زهد الخلفاء الراشدين . روي عن ابي بكر الصديق انهُ لما حضرتهُ الوفاة قال لعائشة « انّا منذ ولينا امر المسلمين لم نأكل لهم ديناراً ولا درهماً ولكنا قد اكلنا من جريش طعامهم ولبسنا من خشن ثيابهم وليس عندنا من فيء المسلمين الاّ هذا العبد وهذا البعير وهذه القطيفة [1] فاذا متُّ فابعثي بالجميع الى عمر . فلما مات بعثتهُ الى عمر فلما رآهُ بكى حتى سالت دموعهُ الى الارض وجعل يقول رحم الله أبا بكر لقد أتعب من بعدهُ ويكرر ذلك وأمر برفعهِ . فقال عبد الرحمن بن عوف سبحان الله تسلب عيال أبي بكر عبداً وناضحاً وتحق قطيفة [2] ثمنها خمسة دراهم فورأمرت بردها عليهم فقال لا والذي بعث محمداً صلّى الله عليهِ وسلّم لا يكون هذا في ولايتي ولا يخرج أبو بكر منهُ وأنقلهُ أنا »

وقيل إن زوجة عمر اشتهت حلواً فقال ليس لنا ما نشتري بهِ فقالت انا استفضل [3] من نفقتنا في عدة ايام ما نشتري بهِ قال افعلي ففعلت ذلك فاجتمع لها في ايام كثيرة شيء يسير . فلما عرّفتهُ ذلك ليشتري بهِ حلواً اخذهُ فردهُ الى بيت المال وقال هذا يفضل عن قوتنا وأسقط من نفقتهِ بمقدار ما نقصتْ كل يوم وغرّمهُ لبيت المال من مالهِ كان لهُ . وكان يحلب للحي اغنامهم فلما بويع بالخلافة قالت جارية منهم الآن لا يحلب لنا منائح [4] دارنا . فسمعها فقال بلى لعمري لأحلبنها لكم واني لأرجو ان لا يغيّر بي ما دخلت فيهِ فكان يحلب لهم ثم تحول الى المدينة بعد ستة اشهر من خلافتهِ

وحدث أسلمُ عن عمر بن الخطاب قال : خرج عمر الى حرّة واقم [5] وانا معهُ حتى اذا كنا بصرار [6] اذ نار تسعر فقال انطلق بنا اليهم فاذا بامرأة معها صبيان لها وقدر منصوبة على نار وصبيانها يتضاغون [7] . فقال عمر السلام عليكم يا اصحاب الضوء وكره ان يقول يا اصحاب النار . قالت وعليك السلام . قال أدنو . قالت ادنُ بخير اودّع . فدنا

---

(١) القطيفة دثار ذو وبر كالمخمل (٢) الناضح البعير والمحق الثوب البالي ومحق قطيفة اي فعلة قطيفة بالية والاضافة بيانية (٣) افتصد او أترك فضلة (٤) المنائح جمع منيحة وهي الناقة او الشاة المحلوب تعطيها غيرك يحتلبها ثم يردّها عليك (٥) مكان في ظاهر المدينة (٦) مكان مرتفع (٧) يتضورون جوعاً ويصيحون

فقال ما بالكم . قالت تعبت الليل والبرد . قال فما بال هؤلاء الصبية يتضاغون . قالت من الجوع . قال واي شيء في هذه القدر . قالت مالي ما اسكتهم حتى يناموا فانا اعلّلهم واوهمهم اني اصلح لهم شيئاً حتى يناموا الله بيننا وبين عمر . قال اي رحمك الله ما يدري بكم عمر . قالت يتولى امرنا ويغفل عنا . فاقبل عليّ وقال انطلق بنا نخرجنا نهرول حتى اتينا دار الدقيق فاخرج عدلاً فيه كُبّة (١) شحم فقال احملهُ على ظهري . قال أسلمُ فقلت انا احملهُ عنك مرتين او ثلاثاً . فقال آخر ذلك انت تحمل عني وزري يوم القيامة لا امّ لك ؟ . فحملتهُ عليه فانطلق وانطلقت معهُ نهرول حتى اتينا اليها فالقى ذلك عندها واخرج من الدقيق شيئاً فجعل يقول لها ذري عليّ وانا احسن (٢) لك . وجعل ينفخ تحت القدر وكان ذا لحية عظيمة فجعلت انظر الى الدخان من خلل لحيته حتى انضج ثم انزل القدر فاتتهُ بصحفها فافرغها ثم قال أطعميهم وانا اسطح (٣) لك فلم يزل حتى شبعوا ثم خلى عنها فضل ذلك . وقام وقمت معهُ فجعلت اقول جزاك الله خيراً انت اولى بهذا الامر من امير المؤمنين . فيقول قولي خيراً فانك اذا جئت امير المؤمنين وجدتيني (٤) هناك ان شاء الله . ثم تنحى ناحية ثم استقبلها وربض لا يكلمني حتى رأى الصبية يضحكون ويتطرحون ثم ناموا وهدؤا فقام وهو يحمد الله . فقال يا اسلمُ الجوع اسهرهم وابكاهم فاحببت ان لا انصرف حتى أرى ما رأيت منهم »

وقال ابو هريرة : يرحم الله ابن حنتمة (٥) لقد رأيتهُ عام الرمادة (٦) وانهُ ليحمل على ظهره جرابين وعكمة زيت في يده وانهُ ليعتقب (٧) هو وأسلمُ فلما رآني قال من اين يا أبا هريرة . قلت قريباً . فاخذت اعتقبهُ فحملتهُ حتى انتهينا الى ضرار فاذا نحو من عشرين بيتاً من محارب . فقال لهم ما اقدمكم . قالوا الجهد واخرجوا لنا جلد الميتة مشويًا كانوا يأكلونهُ ورمة العظام مسحوقة كانوا يستفونها . فرأيت عمر طرح ردائهُ ثم اتزر فما زال يطبخ حتى اشبعهم . ثم ارسل أسلمَ الى المدينة فجاء بابعرة فحملهم عليها حتى ازلم الجبانة ثم كساهم وكان يختلف اليهم والى غيرهم حتى رفع الله ذلك »

فالفرق كبير بين هذا الزهد في حطام الدنيا من الخلفاء الراشدين وبين مجالي الابهة والتفخفخة التي كان الخلفاء بعدهم يتجلّون فيها ويغالون بها كلما امعنوا في الايام

(١) كتلة (٢) لمن الضحيح "حسن" لك اي اجعل القدر على النار (٣) أبسط الطعام حتى يبرد (٤) بدل وجدتني وهذا كثير في كلامهم (٥) اسم ام عمر (٦) عام جدب في ايام عمر اهلك الناس والاموال (٧) يتناوبان الحمل

مجون القضاة

« كتب بعض الادباء الى القاضي ابن قُرَيْعَة سؤال فتوى ما يقول القاضي ايدهُ الله تعالى في رجل سمّى ابنهُ مداماً وكناهُ ابا الندامى . وسمّى ابنتهُ ازاج وكناها ابنة الافراح . وسمّى عبدهُ الشراب وكناهُ أبا الاطراب وسمّى وليدتهُ القهوة وكناها ام البشوة — أيُنهى عن بطالتهِ ام يترك على خلاعتهِ

« فكتب في الجواب لو نعتَ هذا لابي حنيفة لاقعدهُ خليفة ولعقد لهُ رايَهُ وقاتل تحتها من خالف رايَهُ . ولو علمنا مكانهُ لسجنّا أركانهُ . فإن اتبع هذه الاسماء افعالاً وهذه الكنى استعمالا علمنا انهُ قد أحيا دولة المجون وأقام لواءه ابنة الزرجون فبايعناهُ وشايعناهُ وان لم يكن الاَّ اسماء سمّاها ما لهُ بها من سلطان خاسنا طاعتهُ وفرقنا جماعتهُ . فنحن الى امام فعال احوج منّا الى امام قوال »

والسؤال والجواب كلاهما مجون في مجون ولكن قارئاً يجهل ابن قريعة وابا حنيفة قد لا يدرك هذا المجون . اما ابن قريعة فكان قاضياً في بعض اعمال بغداد وكان عجيباً في سرعة البديهة في الجواب عن جميع ما يسأل عنهُ بافصح لفظ واملح سجع . وكان رؤساء ذلك العصر (القرن العاشر للمسيح والرابع للهجرة) يداعبونهُ ويكتبون اليهِ المسائل الغريبة المضحكة (كما ترى في السؤال المتقدم) فيكتب الجواب من غير توقف مطابقاً للسؤال . وكان الوزير ابو محمد المهلبي يغري بهِ جماعة يضعون لهُ الاسئلة الهزلية على معانٍ شتّى من النوادر الهزلية ليجيب عنها بمثلها . ولما قدم الصاحب ابن عباد بغداد حضر مجلس الوزير المهلبي وكان فيهِ ابن قريعة فرأى من ظرفهِ وسرعة خاطرهِ ما ادهشهُ

واما ابو حنيفة صاحب المذهب المشهور فعاش في القرن الثاني للهجرة . وكان عالماً ورعاً زاهداً ابعد اهل زمانهِ عن المجون . وعارف هذه الحقائق يدرك وجه المجون في قول ابن قريعة عنهُ ما قال . وكان كثير الثمن في العربية لهُ لكنة ورطانة تنمان على اصلهِ الفارسي . وكان معاصراً لخليفة ابي جعفر المنصور وارادهُ الخليفة على ولاية القضاء في بغداد فابى فاصر الخليفة وطال الحجاج بينهما فقال ابو حنيفة للمنصور « اتق الله ولا ترعَ في اماناتك الاَّ من يخاف الله . والله ما انا مأمون الرضا فكيف اكون مأمون الغضب . ولو تهددتني ان تغرقني في الفرات او تلي الحكم لاخترت ان اغرق » فلم يرضَ بجوابهِ وزجهُ في السجن ثم خلّى سبيلهُ

(نقيب)

في بادية الشام

(٣)

(المزيم) بعد ان خيّمنا بفنا المطايا مرحلتين قصيرتين من الازرق[1] بلغنا ضحى الثامن من ذي الحجة منازل المزيم وهو مشتق من الهزم بالفتح والسكون وهو ما اطمأنّ من الارض والمزيم بمعنى المفعول اي المنزل المطمئنّ من الارض وهو في الواقع كذلك مستوي الرقعة ومبارك البقعة والمراعي الطيبة حولهُ قاصرة[2] ناضرة وفيهِ من القُلُب[3] المنقورة في الصخور الرملية ما يربي على العشرين والصخور متكتّلة وهي المدعوة بمصطلح الجيولوجيين بالكونغلومريت فوقها طبقة رملية ثخانة مترين الارض . فالصخور كالارض التحتية في عرف الزراعيين

وماء هذه القُلُب شروب غير بعيد الغور وانما يتراوح ما بين طول القامة والقناة ويمتزج بابوال الابل الواردة فتعزف نفس الحضري عن شربهِ فيشربهُ مضطرًّا . وقد ورد ذكر المزيم في معجم الحموي بانهُ موضع في قول عدي بن الرقاع حيث قال :

اخبر النفس انما الناسُ كالعيـ ـدانِ ما بين ثابتٍ وهشيمِ
من ديار غشيتُها دارساتٍ بين قارات ضاحكٍ فالمزيم

وبين المزيم ودمشق ما ينيف على ٢٠٠ كيلو متر وفيهِ لبثنا يومين والثالث الاضحى ويعلمون مساء عرفة يوم العيد باطلاق الرصاص من كل صوب . وصباح عيد الاضحى يضحون كثيراً من الابل وتراهم يدعو بعضهم بعضاً

ومن عادة الفقراء في هذا اليوم ان تأتي امرأة احدهم بقدرها للبعير المضحى وتقطع منهُ قدر الحاجة وتطبخهُ امام بيت رب الضحية ولا تحسن قدرها الاَّ نضيجاً . وقد راجت في هذا اليوم سوقنا لاضطرارنا لاجابة دعوة كل من ضحّى تكتما احتياطاً من التخافين نأكل من كل ضحية لقمة واذا اكرمنا المضحي فبتقديم السنام المقطّع والسنام في نظر البدوي اسنى

---

(١) ذكرت في المقالة السابقة ان ياقوت لم يعين مقر الازرق اذ بينهُ وبين تيماء مسافة ٢٠٠ كيلو متر وكنت تركت في المقالة المخطوطة فراغاً لاحرر جهدي المقدار بالقياس الماري ثم نسيت وقدّمت للطبع قبل تحرير المقالة فاستدركت ما فرّطت بالامس واسافة هي تقريباً ٦٠٠ كيلو متر

(٢) المرعى القاصر لغةً ما قرب من المورد (٣) قال الازهري : القليب عند العرب البئر العادية القديمة مطوية او غير مطوية والجمع قلب مثل بريد وبرد . ويلفظها البدو اليوم الجليب

قيمةً من لحم الخروف الطري لدى الحضريين وكان هؤلاء المضحون يطلبون منها قبل غسل الايدي من الطعام ان نقرأ لارواح اموانهم الفاتحة .

وما راقني في الهزيم إلا غناء الماتحين (المستقين بالدلو) الرخيوهم يسقون ابلهم الخوامس[1] الهيم ويدعون هذا الغناء « الحدو » وهو الحداء يحثون به النوق على الشرب كما تحث به على السير وقد ورثوا علمه العادة ولا ريب عن اجدادهم الذين كانوا يغنون لابلهم حين المتح بانواع الرجز وهي الابحر السهلة التي تناسب الحركة كالسير وتقل الاثقال والرقص والمتح والصراع والقراع وذلك مما عابهُ الشعوبية على العرب . وقد اتى الجاحظ في الرد عليهم بفصل الخطاب قال في صدر الجزء الثالث من البيان والتبيين : « وكل شيء للعرب فانما هو بديهة وارتجال وكأنهُ انما ولدت هناك معاناة ولا مكابدة . ولا اجالة فكر ولا استعانة . وانما هو ان يصرف وهمهُ الى الكلام والى رجز يوم الخصام او حين يمتح على رأس بئر او يحدو ببعير او عند المقارعة والمناقلة او عند صراع او في حرب فما هو الا ان يصرف وهمهُ الى جملة المذهب والى العمود الذي اليهِ يقصد فتأتيهِ المعاني ارسالاً وتنثال عليهِ الالفاظ انثيالاً » . اقول ومما يدل على ان الامام الجاحظ يفضل الحزة بقولهِ اني كنت انتقل من قليب الى قليب واسمع من الاقوال المرتجلة بين مديح وتشبيب ووصف ابل يغنون تجبتها ويبالغون بمدحها ما تملأ بهِ الدفاتر وتجف لهُ المحابر وما يهيج الطرب ويبعث الوجد ويثير في الماتحين النشاط ويشوق السامعين الى المتح . فلقد وددت ان اساعدهم في المتح لاشارك الابل في الاصغاء والماتح في الحداء وقد اختص البدو قديمًا المتح ببحر الرجز لسهولتهِ وتناسبهِ مع حركة التاء الدلاء في البئر ونزعها كما انهم نظموا على هذا البحر الخفيف اراجيز الحداء . ويدعُو اليوم ينظمون اراجيز المتح على مجزوء الرجز المذيل . ومما استظهرتهُ على قُلُب الهزيم قولهم :

يا مرحبا بالروامل شيالات المحامل
يا مرحبا بابلنا يا مبعدات منزلنا
يا مرحبا بابلنا واللي بغينا شلنا
يا بو قرون المرس كل حبتين بفرس
يا مرحبا بالابل يا مزوجات الحبل

والبيت الاخير يدل على ان مهر نساء البدو الابل . ومما يغنون بهِ عند تحميل الاثقال ونقلها قولهم :

(١) الابل الخوامس التي ترد على خمس اي كل خمسة ايام والهيم العطاش

وبهذا يا شيبان وانت بالي حيلك حيل البنات

وشعمت العرب الرجز لترقيص الصبيان والبنات . فقد روي ان شيخاً من الاعراب تزوج جارية من رهطه وطمع ان تلد له غلاماً فولدت جارية فهجرها وهجر مرتعها وصار يأوي الى غير بيتها فر بخبائها بعد حول فاذا بها ترقص بنيتها وتقول :

ما لأبي حمزة لا يأتينا يظل في البيت الذي يلينا

غضبان ان لا نلد البنينا تالله ما ذلك في ايدينا

وانما نأخذ ما أعطينا

فلما سمع الشيخ الابيات مر حضراً اني عادياً بفرسه حتى وقع عليها الجباء فقبلها وقبل بنيتها وقال ظلمكما ورب الكعبة

ثم في الحادي والعشرين من ذي الحجة عزمت وصديقي المرحوم جلال الدين[1] على استئناف التشريق واللحاق بشيخ الحويطات عودة ابي تائه قبل ان يبعد عنا كثيراً بتحوله عن مراحه ومخيمه لدى قليب المقيلة بجانب قرية كاف من قريات المخ والمسافة بيننا نحو ثلاثين كيلو متراً . وقد خرج الشيخ خنيفس خارج الحي لوداعنا واوصى بنا قريباً له متوجهاً على راحلته وجهنا واكد عليه التأكيد كله ان يريحنا بتناوب الامتطاء في دربنا الذي لقينا منه عمر الحق نصباً . فقد سرنا مقدار ساعة ثم شرعنا في اجتياز سلسلة مستطيلة من الهضاب والآكام وهي مضبعة : مأوى للضباع . مخيفة . وقد تناوبنا مع رفيقنا السرحاني الركوب واضطررت احياناً للمشي محتذياً بمداس شامي (كندرة) احتذاه صديقي الذي قرّح المداس قدميه لانه لم يصنع للهضاب والشعاب . ولما انتهى التعاله نزعته وسرت حافياً فارحت قدمي قليلاً الا انه سرعان ما يتعب الخضري الترف في وعورة الرمال ووعورة الجبال فكنت اقول في نفسي ليتني اعتدت قبل هذا الجلاء الحفاء وعملت بقول الخليفة الراشد عمر بن الخطاب : « احفوا وانتعلوا فانكم لا تدرون متى تكون الجفلة » فلهذا اضطرتني تلك الجفلة فاحتذيت كالسروجي الزجي واحتذيت وصاحبي الشجا واستبطنا الجوى . وطوينا الاحشاء على الطوى ثم بعد التيا والتي بلغنا عصارى النهار قرية كاف كبرى القريات المخية واتخذنا الراحلة في دار شيخها طلباً لراحة وكرعنا لشدة الغلة الماء كرعاً وقدم لنا طبق فيه من كل صنف من التمر الكفاية زوجان فاكلنا من

---

[1] هو البدري بالبناء والحاء المهملتين نجل العلامة الشيخ سليم البدري الذي طبع الآباء اليسوعيون على نفقته اللغة كتاب الالفاظ الكتابية

اعطابه تمرات القيم الاصلاب وتنسي الاتعاب . ثم اعدنا كرة السير الى السفيلة فبلغنا مخيم الحويطات والشمس هابطة لتتوارى بالحجاب ودخلنا فسطاط الشيخ عودة المشهود . وبعد ان سلمنا عليه واخذنا مقاعدنا بين البدو ألفينا فيهم نفراً من الشام اقبلوا وسلموا علينا واخذوا في محادثتنا ولما سألونا عن الاسم رأينا من الحزم الكتم ومن الصواب ان نشك ونرتاب فقلت لهم اسمي عبد الله نديم وهو اسم كنت اخترتهُ في الجولان تفادلاً بالنجاة لما كان لهذا الاسم الميمون على صاحبهِ المعروف من الفضل والبركة . وقال صاحبي اسمي سالم . قالوا : والنسب ؟ قلنا من العرب . فقال احدهم عن اسمي جلال انهُ لشقرته من بيت العظم واني من بيت الجزائري رجماً بالغيب . فسكتنا وكان السكوت اقرار . ثم قلنا لهم انَّا لم نلذ بالفرار الاَّ حذراً من التجند فمن الواجب علينا لما بيننا من وحدة الوطن ان تروصوا بنا الشيخ عودة الذي لم نكن لنعرفهُ من قبل وذلك كيما يسهل لنا الوصول الى الجوف فوعدونا ووفوا بعد تناول العشاء اذ عرفوا الشيخ بنا فمر بقفا حسناً دعاهُ ليقول وكأنهُ قد علم من مواطنينا الجوف ويجرنا : لا بأس لا بأس عليكما وليخرج كربكما . ولياًمن عندي مربكما . فانا ايضاً من ذوي اللغوية . واخوان الجمعية فمرحباً بكم اذ ندبتم اهلاً . فاصبتم سهلاً

(قُرَيَّات الملح) جمع قُرَيَّة تصغير قرية واضيفت للملح لان بها في كاف ملاَّحات طبيعية يعود ريعها لامير الجوف نواف الشعلان لا للديون العمومية وهي عبارة عن عدة واحات من النخيل في كل واحة عدة بيوت قروية مشيدة باللبن واهم هذه الواحات قريات ثلاث كبراهن قرية كاف فندرة فأثرة . وفي كاف ما يزيد على عشرين الف نخلة باسقة جعل الله منها رزق اهل القريات ومن الملح يتقولهُ الى حوران ويجلبون والجولان على متون الزوامل وقد علمتُ ان منهم من يشتري بالمانهِ بضائع دمشقية مما يصلح للبادية كي يبيعها للعرب فيربح من تجارة لن تبور ربحاً جماً . واما البدو فهم كما ذكرتُ يحملون جمالهم ملحاً يدفعون ضريبة كل حمل ريالاً مجيدياً ليبيعوا في ارياف الشام الملح بالخطة وفي ذلك معاش لهم وتخفيف لما يقاسون

(الحويطات) قبيلة قوية انتشرت مساكنها في الشام من محطة العلاء الى معان والعقبة وغزة وتشعبت فصائل وبطوناً كالتواهة والجوازي وبني عطية والبدول والديور وعمران والبطحة والطرابين وغيرهم ولقد قدرهم الفاضل البتنوني بسبعين الف بيت وذكر بينهم الجازاي وهم الجوازي الذين يقال لهم ايضاً بنو جازي وشيخهم عبطان بن جازي ابن عم عودة شيخ التواهة . ومنازل كل الجوازي والتواهة معان ولهم هناك بطش وصولة تخشاهما

الدولة التركية . وقد افترق منذ بضع سنين النواشمة عن بني عمهم الجوازي لفساد التي بين الشيخين فهجرت النواشمة منازل العمومة واخوولة إباء وحرصاً على ان لا تظل بينهم وبني الاعمام الدماء هدراً وحالفوا الدولة وصاروا يشرقون معهم ويغربون ثم توثقت عرى الاخاء والمودة بين نواف وعودة كثيراً فزادت بذلك الدولة قوة على قوة في بادية الشام

وحينما كنت نزيل النواشمة غزا الشيخ عودة ابن عمهِ عبطان مرتين فقتل في الاولى رئيس الحملة عناد بن عودة رحمهُ الله فقد كان شاباً حفياً بنا — في السن الرقيق المحبوب وفي حومة الوغى ابن كريهةٍ ومردي خروب . وترأس الحملة الثانية الشيخ نفسهُ طلباً بثأر ولدهِ وخليفتهِ من بعدهِ . ورافقهُ كوكبة من الدولة عليهم فارس الشعلان وخرج الفريقان ما بين فارس وراعي مطية مكفّرين في السلاح . ومما يجدر بالحضري ان يضربهُ هنا مثلاً بجلد البدو وقوة احتمالهم ان الشيخ عودة حينما بلغهُ نعي حشاشتهِ لم يتنهد ولم يبكِ ولا تندت بالدموع عيناهُ على ان الزنين في عرف الحضري استراحة المنكوب وفيضة الملآن

ان الشيخ عودة رجل عرفتهُ البادية بكرمهِ ونجدتهِ وفحولتهِ العربية كما ان البدو يعدونهُ احد فحول الحرب في بادية الشام وقرومها . ولهُ ابن عم يقال لهُ محمد دحيلان يغزو معهُ ويشاطرهُ هذه المناقب . وكثيراً ما كنت اذكر لعودة وقومهِ فظائع القتال وما ينجم عن الغزو المستمر من البلاء وسفك الدماء وانهُ محرّم عقلاً ونقلاً فكانوا يعتذرون بان الغزو ضرر لا مفر منهُ ولم فيهِ معاش فلا يستغنون عنهُ . وان في الضرب بالنار اخذاً بالثار وغسلاً للعار وان لا طاقة لم بجسمهِ إذ نفسهُ اكبر من اثمهِ . والغريب انهم يأخذون للغزو معهم الصبيان ليعتادوا من حداثتهم شهود الميدان والثبات في معترك الفرسان . واما انا فالي بالغزو أرب ولا لي بهِ يدان . بل كنت حينما اجتاب القفار اطلب السلامة من الحفيظ الستار وقد طالما قلت في نفسي :

اشتهي ان لا ارى الغزوَ ولا الغزو يراني

(التفاوت البدوي) ثروة البدوي لهذا الغزو سريعة الزوال ولا تستقر على حال تحاكي ثروة المقامرين في المضمار (البورصة) اذ بينا ترى البدوي يضحي وهو ذو ثراء في ربعهِ اذا بك تراهُ يمسي وهو لفقرهِ المدقع كأن قد ضرب على بصرهِ . وسمعهِ ولكن البدو من مناقبهم التضامن في البدوي والتظاهر على البر والتقوى فتراهم يتسابقون الى مد يد المعونة لمعوز اذا ذل فهذا يجود لهُ ببعير وهذاك بكساء وحصير وذاك بعنزة او عنزتين وذلك بقربة اوعلبة والآخر يرضخ لهُ بدريهمات يستمرن مهتوك ستره وعرّ بن مصدوع امره

مكثنا بعد غزوة الشيخ بضعة ايام في مضربه الرفيع العماد الكثير الرماد وغيّرنا مراحنا اتجاهاً وارتياداً حتى هبطنا ماء يقال له الخيضر وكأنهُ تصغير مخضر اي مكان اخضرّ وماؤهُ شروب وكنا كلما امعنا في الشرق امعن الجو بالاعتدال ورقّ الهواء بالاعتلال مما جعلنا لا نأسى كثيراً على ما كتبهُ الله علينا من الجلاء وان كان قد قرنهُ بالقتل فقال : « ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم ما فعلوهُ الاَّ قليل منهم » فقد كنا صباح مساء نمتع النواظر ببهيج المناظر المتعددة المتجددة ونستنشق اتقى الهواء الفيّاح بأريج الشيح والقيصوم وناهيك بشهرة عطور جزيرتنا العربية التي غدت مضرب امثال الامم الغربية مما اولع العرب بايثار باديتهم الطيبة على بلادنا الخضرية . وهم لتبدل المناظر امامهم كل حين عديمو الحاجة للمسارح والصور المتحركة . فكل بيت من الشعر في نظرهم بيت من الشعر فلا غرو اذا ما اختاروا هذا البيت الخفيف المحبّب على بيتنا المكيف المقيّب . ولا اتول قولي هذا تعصباً لهؤلاء الاعراب الذين هم مادة قومي العرب فقد اقر لهم بذلك قبلي المستشرقون الرحالون واي شهادة ارجح من شهادة نابغة مستشرقات الانكليز الآنسة جرترود بل Gertrude Lowthian Bell في رحلتها الموسومة بالغامر والعامر The desert and the sown. اذ تقول صفحة ٣٨ :

« وخيمة العربي مفتوحة لهب الريح دائماً واذا ما اختلف المهب فالنساء ينتقلن برواق البيت الى جهة أخرى فترى في لحظة ان بيتك قد تبدلت مرائيه وواجه انسب المناظر الرائعة فهو على صغره وخفته يرى راسخاً بقوة لا تؤثر فيها العواصف الاَّ قليلاً . وان السام الغليظة تسيجهِ اتخذ من شعر الماعز لتنسج ثم تضايق بازطوبة فالبيت الى ان يكف بالمطر بحاجةٍ الى دية مسوقة يعاصفة نكباء » . ولكني لم اكن مغرماً بهذه البادية الاَّ مرغماً وانما المعوّل على الحبيب الاول . فقد كنت حنيني الى أوطاني وأنيني لمفارقة خلاني كما قال الشاعر وفي قوله دليل ايضاً على غناء المتحنين وشقاء النازحين :

وما حاديات ضمن يوماً وليلةً على الماء يخشين العصيّ حواني
لوالب لا يصدرن عنهُ بوجهةٍ ولاهنّ من برد الحياض دواني
يرين حباب الماء والموت دونهُ فهنّ لأصوات السقاة رواني
بارجعَ مني جهد شوقٍ وخلةٍ اليها ولكن العدوّ عداني

« لتبحث بقية »

عز الدين آل عز الدين

القَدَرية والجبرية

المسؤولية

طبيعة فكرتها وكيفية تكونها في النفس

(٥)

ان التطور الاجتماعي العظيم على سلم النزعات الفردية الذي وصفناهُ في الجزء الماضي يرى مجسماً في تاريخ الانسانية . فالآلهة وانصاف الآلهة القدماء والانبياء من بعدهم والملوك والشعراء والفلاسفة هم الذين كانوا المحور الذي دارت عليهِ المدنيات المتعاقبة . ولم يأخذ واحد من هؤلاء اسمهُ في التاريخ كعامل من عوامل الرقي او التدهور الانساني الاَّ بمقدار نزعاتهِ الخاصة الخارجة على النظام الاجتماعي السائد يوم وجودهِ . بل ان تراجمهم لتدل على انهم جميعاً كانوا منظورين بعين الاستغراب من الرأي السائد لتفوُّقهم في القيام في وجه الوحدات الايمانية الموطَّدة الاركان في النفوس . ولكن الذي لوحظ الى جانب ذلك ان نزعات الافراد الذين كانوا عوامل في رقي الانسانية كانت نزعات تتفق مع قوانين حياة الاجتماع الطبيعية من حيث هي . وبكلمة اخرى ان هؤلاء الافراد كانوا صحة الجنس نحو الكمال . وان هذه النزعات على ما فيها من مصادمة الرأي السائد لم تكن الاَّ خطوات ضيقة جدًّا وكانت جميعهم مهيئة لها واقفا يقف في وجهها الماضي الذي قدَّس وحداتهِ الايمانية حتى صارت في نظر المجموع عقيدة لا يمكن ان تحول . اما الافراد الذين عملوا على تدرُّك الانسانية فكانت نزعاتهم ضد الاجتماع بل ضد الحياة — كانوا نذر الموت واعلام الدمار . كانوا افراداً ساعدتهم ظروف خاصة على الرجوع بالانسانية الى الوراء . ولكن الاجتماع اظهر القوة في كل الظروف التي حفت بهِ فيها مثل هذه الكوارث فلم يدم في تدركهِ . ولهذا نرى استبداد ملوك الرومانيين لم يوقف سير المدنية الاَّ قليلاً . بل لقد كانت شرور ذلك العصر سبباً في افاقات انتضاها انفجار القوى المضغوطة رغم ما توسى بهِ طبيعة الحياة

والتاريخ لدينا حافل يشهد بما تقدم . ولنأخذ مارتين لوتر مثلاً . ومارتين لوتر من الرجال الذين هزوا الانسانية وقسموا المسيحية الى قسميها الكاثوليكية والبروتستانية . قام هذا البطل وسط العقائد والوحدات الايمانية السائدة في القرن الخامس عشر لميلاد المسيح . وكانت سيادة هذه العقائد من القوة بحيث لم يكن لمن يقاومها الاَّ ملاقاة حتفهِ . فكم من

ارواح ازهقت لا لشيء الا انها سمحت لابسط انواع الانتقاد ان يوجه صادراً منها الى بعض شعب غير رئيسية لم تفرّع عن هذه العقائد . ومثال هس وجيروم باق ناطق بما كان يلقاه المصرحون من انواع التعذيب الذي ينتهي بموتهم حرقاً ولكن عصر لوثر لم يكن عصر هس وجيروم . فقد كانت النفوس في عصر مهيئة لقبول تعاليم جديدة شعرت بها لازمة لحياة الجماعة منذ ما كاد ينشر تعاليمهُ حتى رحّب به الانصار والاشياع . فلما استدعي الى مجمع ورمس يناقش الحساب بعد ثلاث سنين من قيامهِ بنشر دعوتهِ علت حولهُ الصيحات من كل جانب : « لكن عند ربك فأوِ ممك » . وكذلك كان . فجعل يدافع ساعتين عن آرائهِ في خطبة الفاها كانت ما شيبهُ نحن صيحة الجنس نحو الكمال . ولقيت خطبةٌ من اجر ذلك العصر استعداداً فأثرها الناس وكانت فاتحة عصر جديد . ولكنها في الواقع لم تكن الاَّ خطوة ضيقة اعدَّ الماضي لها الناس قبل خطوها في عصر لوثر جاءت على اثرها خطوات تأسست عليها مدنية اوربا في العصر الحاضر

ومارتن لوثر ليس الاَّ المثل المذكور من امثلة المصلحين الذين قاموا في الانسانية من يوم نشأتها الى العصر الحاضر . ولكن الاكثرين من هؤلاء الابطال المصلحين ان لم نقل كلهم اقرب الى الشعراء منهم الى المفكرين . لان من شأن المفكر ان تجمد القوة العملية فيهِ بمقدار ذكاء قوتهِ الفكرية . فالفكرة التي تكون في نفسهِ بدل ان تدفعهُ للعمل لاظهارها تحمّن الى فكرة اخرى والى فكرة ثالثة وهلمَّ جرًّا . وعلى ذلك تنقضي حياة المفكر في ملاحظات واستنتاجات وتشكيك في الملاحظات والاستنتاجات وردود على هذا التشكيك وموازرة للفكرة بافكار اخرى . ولكن الابطال المصلحين يقفون عند افكار معينة تسعر على افكار الشعب الذي يقومون بينهُ سعيًا محدوداً في اتجاههِ وفي مقدارهِ لاضطرار المصلح ان يلائم الوسط الذي يظهر فيهِ ملاءمة تسمح لسواد هذا الوسط ان يتبعهُ على طريق القياس ببعض ما عندهُ من الوحدات الايمانية التي افلتت من القيود القديمة وسمحت لها مقتضيات الاجتماع او اكرهتها ظروفهُ على التقدم بعض الشيء . لكن المفكر لا يقف عند فكرة معينة . بل هو يتطلب دائمًا نتائج هذه الفكرة ونتائج هذه النتائج وآثارها وارتباط النتائج والاثار بحياة الوجود العام وغير ذلك مما لا ينتهي وما هو مثار الشكوك الدائمة . وكذلك تنقضي حياة المفكر في وسط خيالي لا يفهمهُ الناس ويتذوقهُ هو . ومحال ان يكون غير ذلك ما دام الفكر الانساني محدوداً والعالم غير محدود

وضع الفكر العظيم اوحست كونت فلسفتهُ الوضعية وقضى في ترتيبها زهرة حياتهِ . ولما

اكتهل سادنتهُ سدام دفو فوصل من الاعجاب بها الى حد تقديسها. وهنالك داخلت نفسهُ نزعة شعرية فانتقل من فلسفتهِ الى سياسيتهِ التقريرية آخذاً النتائج التي وصل اليها من طريق الملاحظة والاستقراء مليئاً اياها نفسهُ ثم ناقلها في صيغة شعرية اشبه الاشياء بالصيغة التي تأخذها كتب العقائد. هنالك حكم عليهِ انصارهُ انتسهم بانهُ قضى كمفكر لان النتائج العظيمة التي وصل اليها في فلسفتهِ ليست خاتمة ما يمكن ان يصل اليهِ الملاحظ والمستقرئ. ولذلك وقفوا في مناصرتهِ عند الذي وصل اليهِ من فلسفتهِ واستمروا في الطريق الذي كان هو سائراً فيهِ. استمروا يفكرون

وهذا النوع من الحياة واقصد اذكاء الفكرة وجعلها تدفع الى فكرة اخرى لا الى عمل من اعمال الحياة يفقد هذه الاعمال قيمتها في النفس. وذلك هو السبب في ضعف احساس المفكر بالمسؤولية. فهو يترك الحياة المادية تسير كما تسير منقطعاً الى حياتهِ العليا فتصبح الاعمال عندهُ موضع ملاحظة ونظر كأنها شيء آخر مستقل عنهُ فلا تستدعي منهُ اسفاً ولا غيظاً. ولكن الذي يستوقفهُ ويستدعي اعجابهُ او انقباضهُ هو الفكرة الجميلة او الفكرة المجرمة

يتضح مما تقدم ان اصحاب الشذوذ الفكري والمجانين العظماء والمفكرين هم شواذ في الجمعية ولكنهم اثر من اثارها هم المفق الذي تصل عندهُ وحداتها الايمانية المتضاربة في اغلب الاحيان تضارباً ان اتفق مع الحياة فهو لا يتفق مع التقدم. والتقدم والارتقاء هما آثار التطوُّر الذي هو احد القوانين الرئيسية لنظام الجمعية وخلودها. وعلى اعتبار هؤلاء الاشخاص شواذ لازمين قطعاً لوجود الجمعية الانسانية من حيث هي الجمعية الانسانية في صورتها غير المحدودة بالمكان والزمان والقائمة بين الازل والابد — على هذا الاعتبار سمح لم الرأي السائد في كل العصور ان ينتهكوا حرمتهُ ويحولوا تيارهُ لان الرأي السائد يحتوي جرثومة التطور والتقدم. وهذا هو ما جعل فكرة المسؤولية تتطبع في نفوس هؤلاء الافراد على نحو مبهم اقرب لان يكون طابع المستقبل منهُ طابع الجمعية الحاضرة

وهؤلاء الافراد هم الذين اوتوا اجهزة وتيارات غير عادية وسمحت لهم ظروف خاص كالصدفة والوراثة ان يوجهوها لخير الانسانية فوفقت احسن التوفيق وكانت نزعاتهم الفردية حجر الاساس الذي شيدت فوقهُ المدنيات المتعاقبة

ولكننا اذا حوّلنا النظر الى الجهة المقابلة حيث ترفع النزعات الفردية اعلام الموت وترسل نذر الخراب واخذنا نبرون الظالم مثلاً رأينا الفرد المجرد من معنى الاجتماع والعائش بنفسهِ لنفسهِ ورأينا المخرب الذي يندفع ليدك قواعد الوجود ارضاء لشهوتهِ. رأينا هذا المستبد

الاحمق محرقا رومية ممسكاً بيديه قيثارتهُ يوقع عليها قصيدة خرقاء جادت بها قريحتهُ المجرمة . ولكن رومية عادت الى الحياة وماتَ هو وهو يرنم على قصيدتهِ في حفرتهِ

ولذلك يعلو الاجتماع و يبقى و يموت الفرد الخارج على قوانينهِ تحت اقدامهِ

نيرون هو المثل للمجرم في الانسانية . والمجرم شخص مجرد عن العواطف والاحساسات البشرية لا يحس بالألم ولا بالسعادة و يرى الوجود الذي امامهُ عدوًّا لهُ لدوداً . هو حيوان من غير النوع الانساني لانهُ غير مدني ولكنهُ لبس صورة الناس ظاهراً . لهذا لم يكن لقواعد الحياة ووحدات ايمان الوجود ان تنطبع في نفسهِ الصلدة بل يبقى فؤادهُ جامداً ونفسهُ حيوانية لا تعرف من معنى الاجتماع شيئاً ولا تفهم من قوانين الطبيعة الاَّ القانون العام الذي يحكم الموجودات الحية الى ادنى انواعها قانون استبقاء الحياة . ولما كان الكد والكدح الزمين من آثار التنافس الذي لا يكون الاَّ بالاجتماع وكان المجرم غير مدني رأيتهُ يميل لتكسل ويفضل الاغارة على امثالهِ بني آدم يختطف اموالهم من يدهم كما يغير الأسد أو النمر على ما يجاورهُ و يأخذ الفريسة التي تلوح لهُ

وجمود نفس المجرم عن تلقي آي الاجتماع ينتج عندهُ حتمًا جموداً امام الجزاء المقابل الذي تفترضهُ هاتهِ الآي عقوبةً لمن خرج عليها . لهذا لوحظ ان المجرمين المتأصلة جرثومة الاجرام في نفوسهم لا يعرفون معنى للتوبة ولا يفقهون معنى التكفير عن الخطيئة . كما انهم لا يشعرون في العقوبة بالم يردعهم عن العودة لما يستوجبها بل هم يرتكبون الجريمة بالعوادة والطمأنية التي يجدها غيرهم في اي عمل عادي مشروع لأن الجريمة عمل عادي مشروع عندهم

لكن هذا النوع من المجرمين قليل وغير منتشر . والغالبية للعظمى ممن يخرجون على النظام اشخاص تدفعهم ظروف خاصة توجه نزعاتهم الفردية وجهات غير موفقة فيرتكبون ما يخالف التعاليم التي انطبعت في نفوسهم والتي هي وحدات الوجود الايمانية . ومن هؤلاء تتركب طائفة المسؤولين الكبرى . فالمجرمون بالصدفة والمجرمون بالعادة والمجرمون بدافع الشهوة والمجرمون المتهوسون والمجرمون السياسيون وغير هؤلاء واولئك ممن سيرجع بنا الكلام اليهم عند بحث المسؤولية القانونية

ووجود هذا النوع من المسؤولين في الجمعية هو المقابل الطبيعي لوجود العظماء والمفكرين والمصلحين . فما دام الاجتماع الانساني في تطوره نحو الكمال يستخدم النزعات الفردية لاتمام ذلك التطور فسنوفق بعض هذه النزعات للسير في الطريق السوي وستفضل

اخرى وتحضر في مهاوي الجريمة . ولكن اصحاب النزعات الفاسقة يلقون دائماً جزاء ضلالهم فتحدوهم الجمعية باقدامها وتمر من فوقهم غير مهتمة بهم ولا مكترثة لهم بل مستخدمة اياهم في احايين كثيرة لمساعدتها في التقدم الى الغرض الذي تسير اليه . ولم يستطع هؤلاء الفاسقون في عصر من العصور الماضية كلا ولن يستطيعوا في المستقبل ان يقفوا في وجه الجمعية لان الجمعية وجود طبيعي ازلي خالد . والافراد ذرات سريعة التحول والانقلاب . والجمعية كل والفرد ذرة متناهية في الصغر الى جانب ذلك الكل ومسخرة لخدمته

اذن فشأن الفرد في الجمعية شأن مسمار في ماكينة عظيمة . فذلك المسمار يبقى سالماً ما دام قائماً باداء الوظيفة التي وضع لها غير خارج على المجاورات التي حوله . لكنه يلقى جزاء محتوماً ان هو وقف عن اداء وظيفته او خرج عن المكان المعد له . فانه يلقى قسماً آخر من الماكينة امتن منه واقوى يصادفه في سيره فيكسر رأسه او يرده رغماً عنه الى مكانه . بل ان شأن الفرد لاضعف من ذلك واحقر . لانا مهما تصورنا من عظمة هاته الماكينة ومن ضآلة المسمار الى جانبها فان نبلغ في ذلك ما يقابل الجمعية والفرد

وقد احس الناس من ابعد الازمان بهذا الاحساس وفهموا تمام الفهم معنى الجزاء الذي تنزله بهم الجمعية حين خروجهم عليها . وبلغ من قوة احساسهم به أن خلطوا بين فكرة الجزاء وفكرة المسؤولية واحلوا الاولى محل الثانية . وترتب على هذا الخلط الفكري خلط آخر جر اليه التشابه اللغوي . فلما كانوا يرون الجزاء هو المقابل الطبيعي لاعمال من الاعمال يعرض صاحبه لسخط الجمعية وكان الجزاء لغة هو المقابل للعمل بالاوامر سواء كان هذا اجتماعياً او غير اجتماعي وسواء كان مضراً بالجمعية ويستدعي مسؤولية فاعله او هو لا علاقة له بالجمعية مطلقاً وانما هو عمل يستحق المدح من فرد معين من الناس على خدمته وصلته من آخر — جعلوا هذه الاعمال غير الاجتماعية لما يقابلها في نظرهم من الجزاء داعية مسؤولية ولو في جانب ما يسمونه الخير . مع ان المسؤولية انما تكون عند الفرد على اثر انطباع وحدات الاذعان المتعلقة بحياة الاجتماع في نفسه ومخالفة هذه الوحدات من بعض الاشخاص

ولكن اذا كان هذا الخلط قد جر اليه الشبه اللغوي في استعمال كلمة الجزاء فان الذي مكن له في عالم الفكر ومد من حياته حتى يراه باقياً الى اليوم هو الابهام الذي كان حاصلاً في فهم الوحدات والقوانين اللازمة لحياة الاجتماع حتى رتبت بعض العصور اضعف اعمال الفرد في جهتي النافع والضار والخير والشر ترتيباً لا يسمح لنزعة فردية من النزعات التي هي اساس التطور الاجتماعي ان تقوى وتعمل عملها في الوجود . وتبتها وحكمتها فكان الميدان

مسموح للفرد ان يتنفس فيه ضيقاً الى حد ان كاد يخنقهُ فكان طعامهُ وشرابهُ وحركاتهُ ونوع كلامهِ بل اتجاه فكرهِ كلها معتبرة من الوحدات الايمانية اللازمة لحياة الجمعية . ولكن التطور الذي حصل على متعاقب العصور جعل بعض الشيء من هذه الدائرة وسمح للافراد بدائرة اوسع يتحركون فيها حسب ما توحي اليهم به نزعاتهم وظروفهم الخاصة وان حكمتهم دائماً ظروف الوسط والزمان

وهذه الحرية التي سمح بها الاجتماع لافرادهِ على اعتبار انها لازمة للتطور وغير ضارة بحياتهِ هي التي سمحت لفكرة المسؤولية ان ترجع بعض الشيء الى معناها الطبيعي الاول . ونعني احساس الفرد بمخالفة سنة الاجتماع مخالفة يغلب ان تجر عليهِ الجزاء المقابل لها . لكن فكرة الجزاء هي المقابل لفكرة المسؤلية وليست هي هي كما قرر بعض الكتاب والفلاسفة . فقد يأمن الرجل كل الامن وقوع الجزاء ولكن ذلك لا يمنع تحرك ضميرهِ حسب ما تكون من قبل ما لم يكن مجرماً بالخلق ميت الاحساس بطبيعتهِ . وان كثيرين من الاشخاص الذين يقدمون للقضاء فيبرؤن لعدم قيام ادلة كافية لادانتهم يشقون رغم فرحهم بالنجاة من العقاب تحت تأثير وخز الضمير زمناً غير قليل . بل قد يبلغ الحال من بعضهم ان يجزي بنفسهِ نفسهُ . ولولا نعمة النسيان لسمج الاكثرين منهم بشيء من المدوء لما يرحهم انهم . كما ان فكرة التكفير والتوبة تريح نفوساً كثيرة قد تنوء لولاها بفكرة المسؤولية

بل كم رأينا من كبراء الرجال من ارتكب على علم اثماً اضرَّ بجمعيتهِ ولكن ظروفاً خاصة جعلتهُ يرتكبهُ وهو مطمئن ساعة ارتكابهِ لكن الماضي لم يلبث ان تكدس كتلهُ وغلب الحاضر وقامت فكرة المسؤولية قاسية اليمة تعذب ضمير هذا الرجل اشد العذاب

واما ادخال عمل الخير تحت فكرة المسؤولية فذلك خطأ جرَّ اليهِ الخلط اللغوي وجرَّ اليهِ تاريخ فكرة المسؤولية ووجد اركانهُ ميل العقل الانساني الى فكرة المقارنة والمقابلة بين الاضداد . والحقيقة ان فكرة الخير والاحسان والفضيلة هي افكار نسبية ابدعت في مختلف العصور للتعبير عن النزعات الفردية التي تسعى بالجنس في طريق تقدمهِ نحو الكمال . ولا يمكن ان تستثير الاعمال التي اطلقت عليها هذه الاسماء فكرة المسؤولية في النفس . ولكن التعاليم القديمة كانت تجعلها تستثير فكرة الجزاء عند الله ان لم يكن عند الناس فكان ذلك سبباً لخطأ الذي اشرنا اليهِ

محمد حسين هيكل المحامي

دكتور في الحقوق

ذكرى قاسم امين (١)

ايها السادة

بهذا اليوم تتم السنة التاسعة على وفاة المرحوم قاسم بك امين وهو احد مؤسسي هذه الجامعة فلهُ بها صلة اشد من صلة العضوية التي لنا جميعاً . هذه المناسبة كافية في الاحتفال بذكراهُ في هذا المعهد . على ان لقاسم غير هذه الصفة صفة اخرى ادعى الى الاحتفال بذكراهُ ودرسهِ في ارقى معهد علمي في مصر . هي انهُ احد كتابنا المجيدين الذين يحق لنا ان ندرسهم في كلية الآداب

لا ادري أنسب السرادقات في الشوارع وذبح الذبائح واطعام المساكين للاحتفال بذكرى اعيان الوفيات خير أم درسهم وتحليل ملكاتهم واخلاقهم ونقد اثارهم في زاوية بمزل عن الجمهور كما نفعل الآن . على الحالين لكل عائلة ان تحتفل بذكرى اعضائها الغائبين الى الابد بمقدار ما تسع طاقتها وعلى الوجه الذي يناسبها . ولقد كان قاسم احد آباء هذه العائلة العلمية التي انتم ابناؤها . وعقلاً من العقول الاولى لهذه البيئة التي انتم افرادها . لذلك حق عليكم ان تذكروهُ على نحو ما تذكرون آباءكم واخوتكم في النسب . لكل امرىء عائلة وعائلة المتعلم من حيث هو متعلم والمعلم من حيث هو معلم انما هي الجامعة التي ينتسب اليها . واقل ما يجب على الابن البار ان يذكر اباهُ وعلة وجودهِ . ونحن اعضاء الجامعة لا يسعنا من صنوف التكريم الاَّ الدرس والنقد ولا يناسب اهل العلم الاَّ سلوك مناهج القصد والفرار من الزخارف والابهة الباطلة

حسبنا بياناً لعلة هذه المسامرة ومناسبتها لنخوض فيما نصدينا لبحثهِ

لسنا في مقام رثاء او تأبين فذلك مقام قضيناهُ من قبل فلم يبقَ في النفس من آثار الم المصيبة ما قد يعدل بها من حيث لا تشعر عن الانصاف الى التحيز . ولم يبقَ من قرب عهد العشرة ما يدعو الى المجاملة ولا من انتهاز الفرصة لاطراء المثل الحسن ما قد يفضي الى المبالغة في المذهب فقد خفف عنا الزمان هذه الحالات الوقتية كما هو شأنهُ . وما لنا بعد الاَّ ان ننظر في آرائهِ النظر المجرد عن الغايات الوقتية

---

(١) محاضرة القاها حضرة الباحث الاجتماعي احمد بك لطفي السيد على طلبة الجامعة المصرية في ٣٠ ابريل سنة ١٩١٧

وادلّ على هذا كله ذكرنا قاسماً ذكرى مثلاً صالحاً واسوة حسنة لشبابنا الذين يريدون ان يهذبوا انفسهم بالقيام عليها ليكونوا قوة عاملة ذات اثر في الجمعية الانسانية وليحصلوا تلك اللذة الكبرى التي حددها قاسم بقوله

« اللذة التي تجعل للحياة قيمة ليست حيازة الذهب ولا شرف النسب ولا علو المنصب ولا شيئاً من الاشياء التي يجري وراءها الناس عادة وانما هي ان يكون الانسان قوة عاملة ذات اثر خالد في العالم »

لقاسم صورة معنوية لعلها من اقرب الصور التي عرفناها للمثل الاعلى للرجل في هذه البلاد وفي هذا الزمان . ولكنها مع ذلك قد تُمثل في بعض الاذهان مشوهة او ناقصة بعض الشيء . فمن الناس من يراهُ من جهة واحدة هي جهة جرأته على عادات قومهِ وبعض معتقداتهم . وهؤلاء الناس الذين عالجتهم صيحة الاصلاح الاجتماعي الذي علاهُ وراوا فيها مساساً بالدين وبالعادات وعبثاً بالشخصية المصرية بل بالمنفعة العائلية ذاتها اولئك هم اهلُ « ليس في الامكان ابدع مما كان » . وآخرون ينظرون الى قاسم نظرة اكثر احتواء لصورته يرونهُ ثمرة ناضجة من ثمار التعاليم الاوربية في الشرق و يقدرون ملكاته من حيث هو كاتب تقديرهم لكثير من كتابنا الاخرين ولم يلتفتوا الى جهة التفكير العميق فيهِ . واني احاول ان اُلم في هذه المسامرة الماماً بصورة منهُ تقسبهُ اقرب الى ما اعتقدهُ الحق معتمداً في ذلك على افكاره المكتوبة وآرائهِ المنشورة . خصوصاً مجموعة اقوالهِ الموسومة « بالكلمات » لانها مذكرات كان يكتبها قاسم في كراسة جيب لم يعدّها بعد للنشر . ولقد كنت عندهُ يوماً فقرأ عليَّ بعضاً منها وتركني افهم انهُ ربما نشرها ولكن بعد عهد بعيد فلي عاجلةُ المنية بعد ذلك باسابيع حصلت عليها بواسطة صديقهِ حضرة صاحب المعالي سعد باشا زغلول وراجعتها انا والاستاذ عاطف بك بركات وطبعتها في الاسبوع الذي توفي فيهِ على ما اذكر . ولا شك في ان كراسة الجيب هي مستودع افكار المرء الخاصة وعبارة مشاعرهِ العميقة فهي كذلك في رسم صورة منهُ اقرب الى الحقيقة من كل ما يرتبهُ وينشرهُ في حياتهِ و بلاحظ فيهِ اعتبارات شتى عند النشر . وان كان قاسم هو في الواقع اشد اخلاصاً من ان يراني واعظم شجاعة من ان يداجي في آرائهِ

لا ادعي لقاسم انهُ كان فيلسوفاً في صف الفلاسفة اولي المذاهب العامة في حقائق الموجودات باعتبار ما هي عليهِ او ارباب الانماط الخاصة في درس المعارف الانسانية وربطها بعضها ببعض . ولكننا نعرف لهُ انهُ مفكر عميق وكاتب مجيد

ليس من الصعب درس قاسم فانهُ لم يكن من الكتّاب القصصيين المكثرين مشتت المقاصد والافكار في غضون الروايات بل هو كاتب مقالٌ يعرب عن مقاصدهِ وآرائهِ لا على ألسن ابطال القصص بل مضافة الى ذاتهِ وليس مثل كثير من المفكرين الذين يجتهدون في اخفاء شخصيتهم ويصمون قولهم ومذاهبهم تعميماً . بل يظهر من عبارة بعض كلماتهِ ومن اشارة بعضها انهُ كان يعنى جد العناية بدرس نفسهِ ثم يؤوب من هذا الدرس بنتيجة يسطرها غالباً على انها ملاحظة شخصية او حالة نفسية لهُ ويلقيها احياناً على صورة عامة

كان قاسم ذا طبع جم الاستعداد للنبوغ خصوصاً في مقومات الهمة والشجاعة وصفات الرفعة . جاءهُ ذلك بالضرورة بالانتقال الوراثي لان جدهُ احد امراء الاكراد أخذ ابنهُ رهينة الى الاستانة وجيء بهِ الى مصر فاستوطنها وبنى باحدى عقائل طائلة خطاب فكان قاسم اكبر ولدهِ منها . لم يرب قاسم على نحو ما يربى عليهِ اولاد الامراء او المكثرين في المال . بل ربي على الطريقة التي يربى بها اواسط الناس وهي اقل انواع التربية عيوباً واقبلها لاعتناق المذاهب الديمقراطية والايمان بفائدة العلم واولاها بافادة الاعتماد على النفس . تعلم في مدارس الحكومة كغيرهِ وأرسل في البعثة العلمية مع زملائهِ الى فرنسا فحصل على ليسانس في القانون وعاد الى مصر سنة ١٨٨٥ وتنقل في الوظائف القضائية حتى مات وهو مستشار في الاستئناف كما تعلمون . بذلك ترون ان حياتهُ لم تكن عاصفية ولا ذات عقبات واحوال متعاكسة ولا شيئاً من ذلك مما كان شأنهُ ان عدّل كثيراً من صفات الرجال اولي الاقدار في الحياة . ولكن قابليتهُ الشريفة الارسطقراطية وتربيتهُ على اصول الديمقراطية الفرنساوية امتزجا تمام الامتزاج فالّفا صورة نفسية ذات ميول ارسطقراطية هذبتها تربية ديمقراطية

يظهر ان هذا القران الموفق بين الميول الارسطقراطية و بين التربية الديمقراطية قد هذب من نفس قاسم وعقلهِ ومشاعرهِ بان خلص نفسهُ مما قد تسميهِ نقائص الشرف وحلّ عقلهُ من قيود الوهم التي تقيد عقول طبقات الاشراف في كل زمان وفي كل مكان . وفتح لمشاعرهِ ابواب الطرق العلية لتعرف الخير والجمال سواء كان في الاعيان او في المعاني حتى لقد صار وهو قاضٍ يكره ان يحكم بالاعدام مهما قامت ادلة الادانة في حين ان معنى امير كردي فلا يقترن في الذهن الاّ بانهُ سفاك غالباً . وصار يرى من الحسن العفو عن كل خطيئة وما كانت عزة الاشراف في كل زمان الاّ مقترنة بحب الانتقام

هذا القران الموفق طبع قاسماً على صفات وميول جعلت لهُ شخصية ممتازة

من ذلك انهُ كان يجمع بين الحياء الشديد والجرأة المتناهية حتى كأنهُ كان معني ببيت ليلى الاخيلية في توبة :

وتوبة احيى من فتاة حيية واجرأ من ليث بخفان خادر

نعم كان حييًّا الى حد ان فُتِّر اطراقهُ في المجالس بأنهُ كِبْر فقيل لهُ في كثرة السكوت والاطراق فقال « كلما هممت بالخوض في الحديث ورددت فكرتي في نفسي كثيراً وجدتها لا تستحق ان تبدى فاعرضت عن الكلام » وفي ذلك من التواضع الحقيقي والبعد عن الزهو والاعجاب ما لا يخفى . وهذا المعنى متفق مع حالهِ من معاناة التفكير في نفسهِ وتعرفها ومتفق مع اقوالهِ

ولا شك في ان تهذيب النفس وتعليمها بطريق ملاحظتها والغوص في اعماقها وتبيين حقيقتها وميولها وآمالها — كل ذلك من شأنهِ ان يجعل بين المرء وبين نفسهِ اتصالاً واتصالاً يعيش في داخلها اكثر من عيشتهِ في المضطرب الذي يحويهِ . وهذا ايضاً يفسر كثرة اطراقهِ وشدة حيائهِ

والواقع ان الحياء فضيلة عمياء لا تقع لامرىء الاَّ بعد ان تجتمع لهُ فضائل نفسية الى جهة العلو والكرامة . لان الحياء على ما نظن مصدرهُ في خوف المرء من السقوط امام نفسهِ ومن ان يسقط قدرهُ امام الناس

اما ضد اخي فهو ذلك المكشوف الوجه الذي لا يخاف من السقوط ولا من مقارفة الرذيلة فهو خلو من الشجاعة وليس فيهِ ما يشبه الشجاع كما قيل الاَّ اشتراكهُ واياهُ في معنى عدم الخوف في الجملة . فان الشجاع يقدم على الخطر الحقيقي بمقدار ما ينبغي وحينما ينبغي فهو متقدم امام الخطر وجبان امام السفالات

واما ان قاسماً كان شجاعاً فذلك معلوم في حياتهِ وفي كتاباتهِ التي كان يجبههُ بها معظم الناس من غير خوف وكأنما كان يعني نفسهُ اذ يقول :

« النفس الضعيفة تخفي لقنوتي وتنكمش امام القائم وتهاب كل صاحب سلطة وضدها النفس القوية تجد في اظهار جرأتها على هؤلاء واشالهم منفذاً يخرج منهُ ما يزيد عندها من القوة عن حاجة حياتها »

ويظهر ان الشجاعة الكردية التي هي احدى صفاتهِ الجنسية قد تحولت بالتربية الى شجاعة ادبية عديمة النظير . يدلُّ عليها دائماً قولهُ واعمالهُ في كل نوع من الاعمال التي زاولها حتى الاعمال المالية التي لم يكن متطلعاً بها ولا مستعدًّا لها

من هذه الصفات ايضاً الشغف بالجميل فكان يعنى بتعرفه عناية شديدة مستمرة حتى اصبحت الفنون الجميلة لهُ موضع لذة واحترام خاص . فلست نعلم واحداً من طبقة قاسم احتفل بتشييع جنازة عبده الحمولي بصفته رئيس فن الغناء وتشتر ولازم مأتمهُ الا هو . كذلك لم يشغل قاسماً ما هو فيهِ من ولاية القضاء ولا من التفكير والتأليف عن العناية بسماع الغناء وتعرف الجميل في الرسم والتصوير ومناظر الطبيعة . . . . الخ

وكان يظن ان اكبر الاسباب في انحطاط الامة المصرية تأخرها في الفنون الجميلة اذ يقول :

« لعل اكبر الاسباب في انحطاط الامة المصرية تأخرها في الفنون الجميلة والتمثيل والتصوير والموسيقى هذه الفنون ترمي جميعها على اختلاف موضوعها الى غاية واحدة هي تربية النفس على حب الجمال والكمال فاهمالها هو نقص في تهذيب الحواس والشعور »

اخذ قاسم نفسهُ بتعرف الجميل فتهذبت عندهُ ملكة الذوق وصفت الى حد انهُ قال :

« من اعظم ما يصاب بهِ المرء ان يحرم من الذوق السليم »

لهذا النظر جعل انتقادهُ وارداً على سوء الذوق او جموده في كثير من كتابهِ حتى فيما يتعلق بفتاة شارع الدواوين التي بعد ان وصفها قال عنها

« انها كانت ترسل الى المارة نظرات دعابة ورخاوة وحنان واستسلام و بالاجمال كان مجموعها محريضاً مهيجاً لحواسهم »

لئن كانت شريعة من الشرائع او نوع من الاداب يبيح للمرأة الجميلة ان تخرج من دارها ولا قصد لها الاَّ فتنة الناس فلا اقل من مراعاة حسن الذوق في مشيتها والاحتشام في نظراتها فان جمالها سيدل على نفسهِ من غير حاجة الى دلال

بهذا كلهِ ترون ان قاسماً كان يحيي حياة مستوفية قسطها من العظم والانتشار . عقل راجح بعيد مدى الادراك وشعور رقيق يهتز لدقائق المؤثرات وذوق مصفى يعيش منهُ في سعادة الذين يعرفون الجمال و يتذوقون طعومهُ . غير محروم مع ذلك كلهِ من الشهوات بل يظهر من خلال سطورهِ انهُ كان كما يقولون « لكبار الرجال كبائر الشهوات » فان الذي يعلم ان قاسماً كان يعنى بتهذيب نفسهِ ويحاسبها الحساب الشديد ثم يقرأ كلماتهِ الآتية —

« الفضيلة والرذيلة يتنازعان السلطة على نفس الانسان في جميع ادوار حياتهِ فتارة تخضع للاولى وتارة لتغلب عليها الثانية ولا يوجد رجل مهما بلغ من التربية والعلم يكون آمناً

من السقوط يوماً في الرذيلة لا يوجد رجل سمع احاطت به الرذيلة الا وفيه استعداد لان يأتي يوماً بافضل الاعمال

« وحقيقة الامر ان اخلاق الانسان ليست شيئاً يتم دفعة واحدة وليس لها حد تقف عندهُ انما هي في تحليل وتركيب في تكون مستمر يضربها الاضمحلال زمناً وتعود بعده الى التماسك »

ويقرأ ايضاً هذه الكلمات :

« الانسان اسير الشهوات ما دام حيًّا وانما تختلف شهواتهُ باختلاف سنيهِ فشهوة اللعب عند الطفل وشهوة الحب عند الشاب وشهوة الطمع عند رجل الاربعين وشهوة السلطة عند شيخ الستين جميعها شهوات تعرض صاحبها للهفوات واقتراف الخطايا متى وقع فيها احدنا يجب عليهِ ان لا يترك نفسهُ الى تصرفها ولا يستصعب الخلاص منها ولا ييأس من نفسهِ بل عليهِ ان يقاومها كما يقاوم المريض علتهُ عليهِ ان يوجه ارادتهُ الى مصارعتها والتغلب عليها عليهِ ان يحول فكرهُ عن الامس الذي كان فيهِ قبيحاً وينظر الى غدهِ الذي يكون فيهِ جميلاً لا يطلب الكمال من المرء وانما يطلب منهُ ان يكون في كل يوم احسن منهُ في اليوم الذي مضى . في ميدان الحرب لا يكون ثبات الجأش الاَّ عند الرجل الذي حضر وقائع سابقة ووقف امام الصدر وقاتل يوماً مهاجماً ويوماً مدافعاً . كذلك الحال في جهاد النفس لا تجد ثبات الجنان الاَّ عند الرجل الذي عرض نفسهُ الى استهواء الشهوات وخدائع اللذات فاذا اختبرها بالتجربة وتغلب عليها بعد ذلك كسب قوة الحكم على نفسهِ التي هي الفضيلة الحقيقية خلافاً للرجل الذي حجب عن جواذب الشهوات فانهُ متى وجد امام فرص مرغبة فيها لا يقاوم سلطانها الاَّ قليلاً واذا سلم في نفسهِ مرة لا يستطيع الخلاص منها »

ان من يقرأ هذه الكلمات واشباهها للقاسم يحكم بانهُ كان بينهُ وبين نفسهِ حرب مستمرة يغالبها وتغالبهُ شأن الحكيم الذي يريد ان يبلغ الادب السامي آخذاً باسبابهِ

كثيراً ما شاهدت من شبانا على اثر عودتهم من الدراسة في اوربا قلقاً او نوعاً من الحزن تبين اثارهُ على هيأتهم واقوالهم واعمالهم وما شككت لي ان هذا الحزن انما هو نتيجة المقارنة بين حال البيئات التي كانوا يعيشون فيها هنالك وبين البيئة التي تحويهم . كذلك قاسم ما انفكَّ نجا من هذه الحال بل اعترتهُ على نوع اشد مناسب لمقدار اطلاعهِ الواسعة ومدارك القوية ومشاعرهِ الرقيقة . وربما استحالت هذه الحال بمساعدة ما بهِ من الوقار الجنسي الى ملكة يتم عليها سكونهُ واطراقهُ ويقسرها كثير من كتاباتهِ الى حد تجعل لمرء يراهُ متطيراً اكثر منهُ متفائلاً

البقية تأتي

مستقبل الشرق الادبي

يظن البعض ان الشرقيين عاجزون عن ادارة امورهم بايديهم لانهم يرون ما في بلدانهم المختلفة من الضعف والوهن وتضعضع القوى . ولكننا اذا بحثنا في تاريخهم القديم وجدنا ان هذا الضعف طارئ عليهم وانهم لم يكونوا كذلك في غابر الازمان . واذا قسناهم بغيرهم من امم الارض وعلمنا ان الاسباب المشابهة تنتج نتائج متشابهة ترجح لنا انهُ لا يتعذر عليهم ان يلموا شعثهم ويستردوا مجدهم السابق . فان الامم التي تحسبها الآن متسخة غارب المجد وراقية ذرى الفلاح لم تكن كذلك منذ بضع مئات من السنين . فامَّة اليابان مثلاً لم تكن ارقى من مجاوريها سكان الهند والصين منذ مئة سنة وهي الآن مثل امم اوربا العظمى . ودول اوربا لم يكن لها شأن كبير منذ الف سنة وهي الآن في اوج مجدها

بينما كنا نفكّر في هذه الامور وقعا قد يأول اليهِ حال بلاد الشام بعد هذه الحرب وقع نظرنا على ترجمة انكليزية لكتاب ارسطوطاليس في السياسة او الحكومة فتناولناها وفتحناها . ومن غريب الاتفاق ان الفصل الذي فُتح امامنا كان الفصل العاشر من الكتاب الثاني وفيهِ وصف مجمل لحكومة قرطاجنة المستعمرة السورية في شمال افريقية على ما كانت عليهِ في عهد ارسطوطاليس

والمعروف من تاريخ قرطاجنَّة انها مستعمرة من مستعمرات السوريين او الفينيقيين سكان صور وصيداء وبيروت وسائر السواحل السورية انشأوها منذ اكثر من ثلاثة آلاف سنة وعظمت مدينتها قرطاجنة حتى بلغ عدد سكانها مليون نفس اي اكثر من سكان القاهرة الآن واكثر من سكان اية مدينة كانت في اوربا ما عدا بعض العواصم كلندن وباريس . واغتنت بصنائعها ومتاجرها واستولت على جانب من اوربا وناظرت ممالك اليونان والرومان ودامت الحرب بينها وبين رومية فجالاً سنين كثيرة ولم تغلب رومية عليها الاَّ بعد عناء كثير . وقد وصف ارسطوطاليس حكومتها التي كان لها اليد الطولى في ترقيتها بعد ان وصف حكومة كريت وحكومة اسبرطة فقال : —

« يظهر ان حكومة قرطاجنَّة قائمة على دعائم ثابتة وهي من وجوه كثيرة ارقى من غيرها فانها تشبه حكومة اسبرطة في بعض الامور . بل ان هذه الممالك الثلاث كريت واسبرطة وقرطاجنة متشابهة كثيراً في بعض الامور ومختلفة كثيراً في غيرها . ومن اهم الامور التي تمتاز بها ان الشعب يشارك حكامهُ ومع ذلك لا يضطر ان يخرج عليهم ولا هم يخطون الى

استعمال الجور والغطرسة . فما يشترك القرطاجنيون فيهِ الاسبرطيين ان الذين تربطهم روابط الصداقة يجلسون حول موائد واحدة . وللقرطاجنيين مجلس شورى مثل مجلس الاسبرطيين فيهِ مئة نائب واربعة رؤساء منتخبون على اسلوب احكم من اسلوب الانتخاب في اسبرطة لان كل واحد من سكان اسبرطة يحق لهُ ان يُنتخَب لمجلس الشورى مهما كان شأنهُ واما في قرطاجنة فالاعضاء ينتخبون من خاصَّة الشعب . والمملكتان متشابهتان من حيث الملوك ومشيروهم ولكن طريقة قرطاجنة اصلح من طريقة اسبرطة لانها تنتخب ملوكها انتخاباً ولا تتقيَّد بانتخابهم من اسرة واحدة ولا تراعي السن في انتخابهم بل تفضِّل مَن يعلو فضلهُ على فضل غيرهِ ولو كان الاول اصغر سنًّا من الثاني لان سلطة الملك واسعة فاذا لم يكن على جانب كبير من الفضل والسلاح فقد يضرُّ ضرراً كبيراً كما حدث في اسبرطة مراراً

« والمبادىء التي بنى الاسبرطيون دعائم حكومتهم عليها مؤلفين اياها من الارسطقراطية والديمقراطية (اي حكومة السراة وحكومة العوام) بعضها يميل الى الحكومة الديمقراطية وبعضها الى الحكومة الاوليغركية (اي التي يتولاها خاصَّة الامة او اغنياؤها) فاذا اتفق رأي الملك مع رأي مشيريهِ كلهم في امر من الامور بعد بحثهِ فلهم ان يعرضوهُ على الجمعية العمومية او يقرروهُ ولا يعرضوهُ عليها . ولكن اذا اختلف الملك ومجلس الشورى وجب عليهم ان يعرضوا الامر على الجمعية العمومية وهي تسمع ما يقولهُ الفريقان وتحكم فيهِ ولكل واحد من اعضائها ان يبدي رأيهُ . وعندهم خمسة مشيرين واسمو السلطة ينتخب بعضهم بعضاً و ينتخبون هم اعضاء مجلس الشورى ويرأسونهُ وهؤلاء الخمسة من اعلى طبقات الشعب واغناها وهم يخدمون بلادهم مجاناً من غير اجر ولذلك جعلت الحكومة تميل الى الاوليغركية اي الحكومة التي يتولاها خاصة الاغنياء وصار هؤلاء المشيرون يؤيدون السراة او الحكومة الارسطقراطية بناء على رأي شاع وتسلط على النفوس وهو ان الحاكم لا يكفي ان يكون صاحب جاه بل يجب ان يكون صاحب ثروة واسعة ايضاً لانهُ يستحيل على مَن لم يكن صاحب ثروة ان يقوم بما يستدعيهِ سمو منصبهِ او ان يتفرَّغ لخدمة بلادهِ

« ولما كان اختيار الحكَّام من اهل الثروة بمثابة جعل الحكومة اوليغركية واختيارهم من اهل الجاه بمثابة جعلها ارسطقراطية فاختارت قرطاجنة اسلوباً جامعاً بين هذين الطرفين وعليهِ تجري بنوع خاص في انتخاب الرجال لاعلى المناصب اي منصب الملك ومناصب قواد الجيش ولكن اذا انتُخب هؤلاء من الناس ذوي ثروة ولا فضل لهم انحطَّ شأن المملكة لانها تصير تفضل الغنى على الفضل و يصير حب المال خطَّة غالبة في المدينة لأن ما يحترمهُ اصحاب

المناصب العالية لا يهتم ان يصير قبلة السكان بنوع عام والغرض الذي يرمون اليه . وحيث لا يخص الاحترام الاعظم بالفضيلة لا تفلح حكومة الفضلاء لاسيما وان الاغنياء الذين يحرزون مناصبهم بالمال يحاولون ان يستفيدوا منها . واذا حمل الفقر من كان فاضلاً وجيهاً على الاكتساب بطرق غير محللة فلا يؤخذ ذلك دليلاً على ان المحروم من الفضل لا يحاول الاكتساب بتلك الطرق ولاسيما اذا اراد ان يسترد ما انفقه على احراز المنصب . ولذلك يجب ان يكون الحكام من الذين يستطيعون ان يحفظوا مقامهم ولا يحقروه . وكان الاولى بالذين وضعوا نظام قرطاجنة ان يعينوا الاجور الكافية للاكفاء الذين يتولون المناصب العالية لكي يتفرغوا لخدمة بلادهم

« ولا يحسن بالمرء ان يتولى مناصب كثيرة في وقت واحد كما هي الحال في قرطاجنة لان من يقتصر على عمل واحد يحسنه اكثر ممن يعمل معه غيره . وهذا ظاهر في الجيش كما هو ظاهر في البحرية حيث تجد الشخص الواحد آمراً او مأموراً في وقت واحد . ولما كانت حكومة قرطاجنة مائلة الى الاوليغركية تراها تتزلف الى اهل الوجاهة وتعينهم حكاماً للمدن لكي يجمعوا منها ثروة فيكتنوا هذا العيب في حكومتهم . واللوم الاكبر على واضع نظام هذه المملكة فانه كان يجب عليه ان لا يبقي سبيلاً للشكوى والخروج على الحكومة اما الآن فاذا المت بالبلاد ملمة فلا يبعد ان يثور الشعب ويعصي اوامر حكامه ولا يجد الحكام من قوانين البلاد ما يردعونهم به عن العصيان

« هذا ما يستحق الذكر من مزايا حكومة اسبرطة وحكومة كريت وحكومة قرطاجنة »

انتهى كلام ارسطو باختصار قليل . وظاهر منه انه يفضل نظام الحكومة في قرطاجنة على نظامها في كريت وفي اسبرطة مع ان هاتين المملكتين اي كريت واسبرطة كانتا ارقى ممالك الاوربيين في ذلك العصر . وعليه فالفينيقيون الذين استعمروا قرطاجنة وضعوا لها نظاماً كفل لها النجاح والتفوق اكثر من سبعمائة سنة عدا ما قامت عليه الادلة التاريخية من تفوق الفينيقيين في بلادهم الاصلية سواحل سورية . انظر ما قاله فيهم حزقيال النبي نحو سنة ٥٨٨ قبل المسيح واصفاً غنى صور واتساع متاجرها قال :

« ايتها الساكنة عند مداخل البحر تاجرة الشعوب الى جزائر كثيرة هكذا قال السيد الرب يا صور انت قلت انا كاملة الجمال . تخومك في قلب البحور بناؤوك تمموا جمالك عملوا كل الواحك من سرو سنير اخذوا ارزاً من لبنان ليصنعوا لك سواري صنعوا من بلوط باشان مجاذيفك صنعوا مقاعدك من عاج مطعم في البقس من جزائر كتيم كتان مطرز

من مصر هو شراعك ليكون لك رتبة الاسبانجولي والارجوان من جزائر اليشة كانت غطاءك . اهل صيدون وارواد كانوا ملاحيك . حكماؤك يا صور الذين كانوا فيك هم ربابنتك شيوخ وبيبل وحكماؤها كانوا فيك قلافوك . جميع سفن البحر وملاحوها كانوا فيك ليتاجروا بتجارتك ترشيش تاجرتك بالفضة والحديد والقصدير والرصاص . ياوان وتوبال وماشك هم تجارك بنفوس الناس وبآنية النحاس اقاموا تجارتك ومن بيت توجرمة بالخيل والفرسان والبغال اقاموا اسواقك . بنو ددان تجارك جزائر كثيرة تجار يدك ادوا هديتك قرونا من العاج والابنوس ارام تاجرتك بكثرة صنائعك تاجروا في اسواقك بالبهرمان والارجوان والمطرز والبوص والمرجان والياقوت . يهوذا وارض اسرائيل هم تجارك تاجروا في سوقك بحنطة وحلاوى وعسل وزيت وبلسان . دمشق تاجرتك بكثرة صنائعك وكثرة كل غنى بخمر حلبون والصوف الابيض . ودان وياوان قدموا غزلا في اسواقك . حديد مشغول وسليخة وقصب الذريرة كانت في سوقك . ددان تاجرتك بطنافس للركوب . العرب وكل رؤساء قيدار هم تجار يدك بالخرفان والكباش والاعتدة . تجار شبا ورعمة هم تجارك بانفر كل انواع الطيب وبكل حجر كريم والذهب اقاموا اسواقك . حران وكنة وعدن تجار شبا واشور وكلمد تجارك . هؤلاء تجارك باردية اسمانجونية ومطرزة واصونة منرم مكومة بالحبال مصنوعة من الارز بين بضائعك . سفن ترشيش قوافلك لتجارتك فامتلأت وتمجدت جدا في قلب البحار . ملاحوك قد اتوا بك الى مياه كثيرة . كسرتك الريح الشرقية في قلب البحار . ثروتك واسواقك وبضاعتك وملاحوك وربابينك وقلافوك والمتاجرون بتجرك وجميع رجال حربك الذين فيك وكل جمعك الذي في وسطك يسقطون في قلب البحار في يوم سقوطك

الامة التي استطاعت ان تنشئ مثل صور وصيدا وقرطاجنة في غابر الازمان وتحكم نفسها بنفسها على اسلوب استحق اعجاب ارسطوطاليس كبير الفلاسفة السياسيين وامتدت تجارتها الى اقاصي البلدان الى الهند والصين شرقا والى اسبانيا و بلاد الانكليز غربا وشمالا ودارت سفنها حول افريقية واستخرج رجالها الذهب من مناجم الترنسفال والنحاس من مناجم اسبانيا والقصدير من مناجم انكلترا وحاربت رومية سنين عديدة — الا يحسن ان يستطيع ابناؤها الآن الاستقلال بادارة امورهم اذا شاؤا ولم يتعرض لهم من يقاومهم قبل ان يشتد ساعدهم

مصر منذ اربعمائة سنة

(٦)

السلطنة المصرية

البلاد المصرية وحدودها وحصونها

قال تنود سنة ١٥١٢ « يحدّ السلطنة المصرية شمالاً البحر المتوسط وشرقاً البحر الاحمر وغرباً صحراء ليبية وجنوباً بلاد النوبة والشلالات . وثغورها في هذه البحار الاسكندرية وابو قير ورشيد ودمياط والسويس والقصير وسواكن . واما البلاد التابعة لها فهي البلاد العربية المتصلة ببر برية سيناء وفلسطين وسوريا وبلاد ما بين النهرين الى مجرى الفرات ودجلة حتى حدود فارس »

وقال تفنوت سنة ١٦٣٠ « يحدّ الباشوية المصرية شرقاً البحر الاحمر وصحراء العربية وجنوباً مملكة النجة والنوبة وغرباً صحراء ليبية وشمالاً البحر المتوسط وليس فيها قلاع وحصون الاّ في الاسكندرية وابي قير »

وقال وانسليب سنة ١٦٧٠ « وبعض المؤلفين يضعون مصر بين قارتي اسيا وافريقية ونهر النيل الفاصل بينهما وحدودها الجنوبية بلاد النوبة وهي تابعة لحاكم جرجا المستقل عن الباشوية المصرية في الاحكام وانما يدفع قسطاً من الخراج السلطاني . وحدودها الغربية صحراء ليبية حتى بلاد برقة والقيروان »

وقال سيزار لامبرت سنة ١٦٢٧ « في الاسكندرية اربع قلاع حولها الحصون والاستحكامات ثلاث منها تحمي المرفأ وهي تحت امرة اغا ومعهُ سوباش وثلاثمائة رجل من الحراس والجنود والمدفعية ومرتباتهم من ايرادات الجرك . وفي ابي قير قلعة لحماية الثغور يحميها ثلاثون نفراً وفي رشيد قلعتان متقابلتان في الميناء يحميهما مائة وخمسون جندياً ومرتباتهم من ايرادات جمرك الاسكندرية . وفي البرلس قلعة يقوم بحمايتها ثلاثون رجلاً ومرتباتهم من ايرادات الاسماك . وفي دمياط قلعة في حراسة اغا وثلاثين جندياً ومرتباتهم من جمركها وتبلغ نفقات هذه القلاع سنوياً عشرين الف غرش ديواني (٦٠ الف فرنك)

« وفي طريق الحجاج بين مصر ومكة حصن في صحراء سيناء عند جبل الطور تحت حراسة اغا وثلاثين جندياً وهذا الحصن قديم جداً وداخلهُ كنيسة للارمن يقولون ان قد دفنت فيها عظام القديسة مارينا

« واما معامل الاسلحة والبارود في الاسكندرية والقلعة بمصر والسويس . وفي العقبة حصن يحرسهُ ثمانون جندياً وكذلك في قطية . ونفقات مدن الحصنين ومرتبات جنودهم ترسل من مصر كل ثلاثة اشهر مرة »

الجيوش المصرية

قال تفنود سنة ١٥١٢ : « يقيم الباشا نائب السلطان بالقلعة وعندهُ ستة آلاف مملوك وفرق الجنود الانكشارية والمتفرقة والعزبية وغيرهم لحماية البلاد ولهم مرتبات مفروضة على المقاطعات المصرية »

وقال سيزار لامبرت سنة ١٦٢٧ : « يقيم الباشا في القلعة وفيها استحكامات وسبعة ابواب حصينة بعضها داخل بعض . ومن الاهمال ان ليس حولها خنادق وجسور . واما قوات البلاد فمحصورة في وجاقات الانكشارية وسناجق السباهية والجاويشية والعزبية ولهم السلطة المطلقة في الاحكام والسياسة وفي ايديهم الاحكام الجنائية »

وقال تفنوت سنة ١٦٣٠ : « يحكم مصر بعيد الباشا اربعة وعشرون سنجقاً من البكاوات الكبار وهم حكام المقاطعات واربعون من البكاوات الجركس وهم مسؤولون عن حراسة البلاد وحفظ الامن ومرتب كل سنجق كيس الا انهُ يبذل مائة الف غرش للحصول على هذه الوظيفة واكثر هؤلاء السناجق من المماليك الذين جلبوا اسرى من بلاد الجركس وجورجيا والمجر والروم وبعض السناجق في البلاد خمسة او عشرة آلاف من قبائل العربان لتأييد سلطتهم وهؤلاء البكاوات او السناجق متفرقون في المقاطعات وفي كل من مصر القديمة وبولاق والمطرية سنجق مستقل . وفي القاهرة من الاجناد اثنا عشر الفاً لحفظ الامن وهم تحت سلطة الباشا منهم ستة آلاف في القاهرة والباقون في ضواحيها وتبلغ عدد القوات والاجناد في كل البلاد المصرية نحواً من ٣٥٠ الفاً تحت قيادة الاغا الاكبر (جنرال) ونائبهُ الكيخيا (ادجوتانت جنرال) والجاويش الاكبر (كابتن) والكجك جاويش والباشجاويش والجوربجي والاوضاباشي (اسماء رتب الضباط) واما حفظ الحدود الشرقية فموكول الى قبائل العربان في سيناء وكذلك في الحدود الغربية والجنوبية »

وقال ماليت قنصل جنرال فرنسا سنة ١٦٨٠ :

« والحكومة المصرية تحت سلطة الباشا نائب السلطان ولا يبقى في وظيفته عادة اكثر من سنتين ان لم يعزل قبل ذلك من وجاقات الانكشارية والمتفرقة . ونادراً يلبث في

مصر ثلاث سنين ولا ينال الباشا هذا المنصب الاَّ اذا كان مقرباً لدى السلطان او اذا دفع للخزينة في استانبول وللوزراء مالاً طائلاً لا يقل عن اربعمائة او خمسمائة الف ريال عدا ما يدفعهُ للخزينة السلطانية من الخراج السنوي وقدرهُ ستمائة الف ريال او (٢٠٠ كيس) وعدا الهدايا الكثيرة التي تقدم الى المقربين عند السلطان . ويقدم ايضاً الى السراي السلطانية في كل سنة ما تحتاج اليهِ من البن اليمني والسكر والافاويه التي ترد من الهند

« ويرأس الباشا الديوان الاكبر في الاسبوع مرتين في قاعة المشورة وهذا الديوان مؤلف من كبراء الامراء والعلماء والقضاة للنظر في الشؤون الهامة وحفظ البلاد ومحابرات السلطنة ويأتي كل امير الى القلعة محفوفاً بعدد كبير من اتباعهِ المماليك وترى ساحة الديوان الكبرى غاصة بالفرسان راكبي الجياد العربية ومسروجها مرصعة بالذهب والفضة والحجارة الكريمة . وابهة الامراء وفخفختهم وعظمتهم ترى عند انعقاد الديوان . ولست مبالغاً اذا قلت ان ديوان الباشا بمصر ليس باقل ابهةً ومهابةً وفخامةً من ديوان استانبول . ويعقد هذا الديوان في الشهر مرة ويتألف من رؤساء الوجاقات والامراء والاغوات وقاضي عسكر والوزراء والعلماء . وقد حضرت مرة جلسة هذا الديوان دعيت لأسأل عن شكاوي بعض التجار الافرنج صودرت بضائعهم في جمرك الاسكندرية فشكوا الدار السلطنة بواسطة السفير فصدرت الاوامر الى الباشا بتحقيق هذه الشكاوي ورأيت في ساحة الديوان نحو اربعة آلاف فارس من اتباع الامراء والمماليك ورؤساء الاجناد والوجاقات . وقد القى احدهم في هذه الجلسة كلاماً جارحاً مثيراً ضد الافرنج وسمعت حينئذٍ صلصلة سيوف الاجناد الخراص فهلع التجار الافرنج الشاكون خوفاً وارتعدت فرائصهم الاَّ ان بعض العقلاء من العلماء والاشراف من السادات والبكرية اخمدوا هذه الحركة العدوانية

« واما القوات الجندية في ياشاوية مصر فمؤلفة من سبعة وجاقات او اميليس اولهم وجاق المتفرقة وهذا الوجاق اعظم واوسع سلطة من غيرهِ وكلهم من الفرسان وعددهم يربو على خمسة آلاف فارس وقسم منهم خاص بحرس الباشا . وكثيرون من التجار الافرنج يدخلون في حماية امراء هذا الوجاق . ثانياً وجاق الاصافية وكلهم من الجنود المشاة وعددهم نحو اربعة آلاف . ويليهم وجاق السباهية وعددهم نحو اربعة آلاف وكلهم من الفرسان وبينهم وبين الانكشارية عداء شديد وخصام دائم . ثم وجاق الجاويشية وهم جنود مشاة لا يزيد

عددهم في مصر عن الف نفس . واما وجاق الانكشارية فاكثر الوجاقات قوة وعدداً واعظمها سلطة ولرؤسائه سلطة واسعة . وهم يعزلون الباشا متى قاموا عليه ويتصبون غيره مكانه . ورئيس الانكشارية الذي هو كخيا الوجاق قائد عام (جنرال) على كل اجناد مصر وله الحق ان يحضر جلسة الديوان الاعلى

« وتدفع مرتبات الوجاقات من الخزينة كل ثلاثة اشهر مرة ومرتب كل جندي في اليوم ثلاثة فلوس ويبلغ مرتب الضباط من خمسين الى مائة فلس في اليوم . واما الفرسان فمرتباتهم اكثر من ذلك ولكل منهم مقدار معين من العلف لجواده »

وقال بنيوس سنة ١٧٧٦ « ولآغا اوجاق الكبير سلطة واسعة على الاهالي ايضاً وهو بمثابة رئيس البوليس عندنا . رأيته مرة ماراً في شوارع القاهرة للمحافظة على الامن يتقدمه مشاة فارس وجمع من الخرس المشاة وكلهم مدججون بالاسلحة والعصي والنبابيت والكرابيج . وفي فم هذا الرجل القضاء بالحياة او بالموت على كل مصري . فاذا رأى في طريقه امراً مخالفاً من شخص ما مهما كانت منزلته يأمر في الحال بقطع رأسه او بضربه وينفذ الحكم في وسط الشارع على مرأى من الناس . ولذلك ترى الجنايات في مصر نادرة جداً واذا حدثت جناية خفية في مكان ما من سرقة او قتل يضطر اهالي الحي اما ان يظهروا القاتل او السارق او ان يدفعوا دية القتيل وقيمة المسروق »

وقال مارسل سنة ١٧٩٣ « ولبعض الباشاوات في مصر حماية من سفراء فرنسا في استانبول يعضدونهم و يثبتونهم في ولايتهم . ولما استولى السلطان سليم الاول على مصر اقام نائباً عنه يحكم البلاد بسلطة واسعة ويرأس الديوان الاعلى المؤلف من اربعة وعشرين اميراً كبيراً وهم حكام المقاطعات المصرية وثمانية واربعين « بيكاً » اميراً صغيراً . والاولون كانوا يعينون بارادة سلطانية

« ومن امراء البلاد والكيخيات رؤساء الوجاقات والدفتردار والروزنامجي وقاضي القضاة والمفتي واربعة من العلماء رؤساء المذاهب الاربعة وامير الخزنة

« وهذا الديوان يجتمع في ايام محدودة من السنة لينظر في المسائل المهمة ولتقرير العلاقات العامة بين استانبول ومصر واما الديوان الاصغر فيجتمع في الاسبوع مرتين تحت رياسة قاضي العسكر للفصل في الاحكام الجنائية والمدنية . واما الوجاقات التي قررها السلطان سليم بمصر فهي ستة ثم اضيف اليها بعده وجاق سابع وهو وجاق

الجركس . وعدد رجال هذه الوجاقات كلها يبلغ نحو خمسة وعشرين الف نفس بين مشاة وفرسان »

المقاطعات المصرية والكاشفيات

ملخص ما يلي عن مالية سنة ١٦٨٥ . وغيره :

الثغور المصرية هي الاسكندرية ورشيد وابو قير ودمياط والسويس والقصير وسواكن وحكام هذه الثغور يعينهم الباشا نائب السلطان بمصر عدا حاكم سواكن فانهُ يعين من السلطان رأساً ويرسل من استانبول لانهُ محافظ على الحدود بين البلاد المصرية والحبشة

وقال جاك البرت سنة ١٦٢٧ :

« وتنقسم مصر الى اثنتي عشر مقاطعة او كاشفية يحكم كلاًّ منها كاشف يعين من قبل الباشا ومعهُ بعض قوات من جنود الوجاقات والملتزمين والمحاسبين والشوباصية

« فالمقاطعة الاولى هي جرجا او ولاية الصعيد وحاكمها يلقب بصاحب الصعيد وهو مستقل في الاحكام والادارة عن حكومة مصر ويعين من الباشا بقرار من دار السلطنة ويشترك في دفع الخراج المعين على البلاد المصرية وعندهُ ديوان مخصوص للاحكام والادارة تؤيدهُ قوة كبيرة من قبائل العربان وبعض الجنود من وجاقات المتفرقة والسباهية والفكجية والانكشارية . وعندهُ ديوان للكتابة وآخر للخزينة وجمع الخراج ونفقات هذه الكاشفية من خزينة الحاكم ولهُ سلطة واسعة في الاحكام يعاقب بالسجن والقتل ويجمع الاموال بدون استشارة ديوان مصر

« وعلى حاكم الصعيد ان يرسل الى باشا مصر في كل سنة هدية الزامية مؤلفة من اربعين كيساً وخمسين جواداً وخمسين بغلاً ومائة جمل والف خروف . ويرسل ايضاً الى كيخيا مصر واغاوات الوجاقات اثني عشر كيساً . واما القسط المفروض على صاحب الصعيد من خراج السلطنة فمائة وخمسون الف اردب قمح تنقل على نفقتهِ من جرجا الى شون الخزينة في مصر القديمة واربعمائة وثمانون كيساً من الذهب المضروب هذا عدا المفروض على هذه المقاطعة من التمبج للحرمين . وحدود جرجا من الصعيد الاعلى الى منفلوط

« والمقاطعة الثانية كاشفية منفلوط وعدد بلادها ٢١٧ والكاشف او حاكم هذا القسم يدفع الى الباشا في كل سنة ثلاثين كيساً والى الكيخيا والاغوات رؤساء الوجاقات خمسة

اكياس . وقسط هذه الكاشفية من الخراج السلطاني مائة الف اردب قمح وخمسة واربعون كيساً مصروبة والاراضي تعطى للملتزمين (المستأجرين) والشوباشية لتحصيل خراجها من الفلاحين وللحاكم الخيار ان يبقي الالتزام على حسابه الخاص . وفي ديوان مصر دفاتر وسجلات في بيان البلاد المصرية واراضيها ومقدار خراجها السنوي من مال وغلال . وهذا الخراج يدفع على اربعة اقساط . واما عدد الجنود والحراس في كاشفية منفلوط فثلاثون جندياً يدفع الكاشف مرتباتهم وعلف خيلهم الا انهم لا يكتفون بعلائفهم فيرهقون الفلاحين ظلماً ويحملونهم مغارم كثيرة . وفي وقت الفيضان يخرج الكاشف وينصب خيامهُ على شاطىء النيل خفارة للجسور فان وصل مقياس الماء الى ٢٣ ذراعاً يبشر بالخصب وان نقص عن ذلك يجمع الفلاحين ويرغمهم ان يروروا الاراضي بواسطة الآلات والنواعير . وما قلناهُ عن هذه الكاشفية يطلق ايضاً على باقي الكاشفيات وهي أوسع واكبر من المقاطعات التي بعدها عدا جرجا . وحدودها تمتد من منفلوط الى بني سويف

المقاطعة الثالثة . كاشفية بني سويف وحاكمها يدفع في كل سنة هدية الى الباشا هي ثلاثون كيساً وخمسة اكياس الى الكيخيا والاغوات بمصر وقسطهُ المفروض عليهِ من خراج السلطنة سبعون كيساً وثمانون اردباً من القمح وعدد بلاد هذه الكاشفية ٣٠٦ تعطى كلها بالالتزام لتحصيل خراجها وغالباً يأخذ الكاشف الالتزام لنفسهِ او يبقي احسن القرى واجود الاراضي ويزرعها على حسابهِ فيتعهدها خدمهُ واعوانهُ واحياناً يسخر الفلاحين في العمل ويجمع منهم مئتي زوج من البقر والثيران يستعين بها على حرث الارض وزرعها . ولكاشف بني سويف سلطة مطلقة في الاحكام والسجن والقتل بدون استشارة ديوان مصر كالكاشف جرجا ومنفلوط السابق ذكرها

المقاطعة الرابعة . كاشفية الفيوم وعدد بلادها ٣٠٠ وهذه الكاشفية كثيرة الغياض والبساتين المغروسة بالاشجار المثمرة وكروم العنب ويزرع فيها الكتان والجودة نوعه يلقب في اسواق التجارة بالكتان الفيومي . ويدفع حاكم هذه الكاشفية الى الباشا في السنة خمسة وعشرين كيساً والى الكيخيا والاغوات خمسة اكياس وقسطها من الخراج السلطاني مئة كيس وليس عليها غلال وقواتها مؤلفة من مائة وخمسين جندياً من الانكشارية والسباهية وتدفع مرتباتهم وعلائفهم من جيب الحاكم

المقاطعة الخامسة . كاشفية الجيزة وعدد بلادها ١٦٤ ويدفع حاكمها الى الباشا في كل

سنة ٢٥ كيساً والى الكيخيا والاغاوات خمسة اكياس ويؤجر الاراضي للملتزمين الا انهُ يبقي اجورها لنفسهِ ويزرعها على حسابهِ مسخراً الفلاحين وبهائمهم في حرثها وحصادها وجمعها ويتبعهُ من الاجناد الانكشارية مائة وعشرون يدفع لهم مرتباتهم وعلائفهم . واراضي هذه الكاشفية تروى بالراحة بلا آلات وسواقي . ويكفي لريها ان يصل مقياس النيل الى عشرين ذراعاً فقط وتزرع فيها كل انواع الحبوب وليس لحاكمها سلطة مطلقة في الاحكام الكبرى والقتل بل يرجع فيها الى ديوان مصر لقربها منهُ . وقسط كاشفية الجيزة من الخراج السلطاني ١٩٦ كيساً وليس عليها غلال

المقاطعة السادسة . كاشفية البحيرة وتمتد حدودها شمالاً الى راس اندريا في البحر المتوسط وهذه الكاشفية كثيرة الاتساع وعدد بلادها ٣٦٠ وحاكمها يدفع الى الباشا في كل سنة ثلاثين كيساً والى الكيخيا والاغاوات ستة اكياس وقسطها من الخراج السلطاني ٤٨٠ كيساً واكثر اراضيها تروى بالآلات والسواقي ويرسل اليها من مصر ٢٥٠ جندياً من الانكشارية والمنفرقة لحفظ الامن ورد غارات العربان يدفع الحاكم مرتباتهم . وهو مسؤول ايضاً عن حفظ الترعة المتصلة بالاسكندرية وتطهيرها وطولها تسعون ميلاً فيحشر الاهالي الفلاحين بهذا العمل . ويكثر في هذه الكاشفية البقر والغنم لجودة مراعيها الخصبة . واذا وصل باشا جديد من استانبول فعلى كاشف البحيرة ان يقدم لهُ الركائب لحملهِ وحمل اتباعهِ واثقالهِ من الاسكندرية الى القاهرة وان يقدم لهُ جوادين عربيين هدية

وفي هذه الكاشفية اديرة السياح والرهبان وكنائسهم وعددها ٣٦٠ ديراً وكنيسة في الصحراء بالداخلية تلقب باسقيط القديس مكاريوس ويتوصل اليها من طرانة وهي كاشفية صغيرة تحت حكم كاشف يرسل من مصر لحفظ الامن وملاحظة استخراج النطرون . واما رهبان وقسوس الاديرة فيضطرون لراحتهم وامنيتهم ان يضعوا انفسهم تحت حماية رؤساء العربان مقابل غرامات وضرائب مفروضة عليهم في كل سنة

وبالقرب من طرانة بحيرة كبيرة مياهها قلوية يقال لها بحيرة النطرون ويستخرج منها مقادير كثيرة تحمل الى الاسكندرية فيشتريها التجار الافرنج ويشحنونها الى مرسيليا ومنها الى رون في فرنسا لتبييض الاقمشة وصقل الجلود وصنع الكهرمان المقلد وقسم منهُ يرسل الى تركيا

المقاطعة السابعة . كاشفية الغربية وهي كثيرة الاتساع واراضيها متصلة باراضي دمياط

وهي اغنى الكاشفيات واوسعها وكل اراضيها جيدة وعدد بلادها ٣٦٠ وحاكمها يدفع الى الباشا في كل سنة اربعين كيساً والى الكيخيا والاغوات تسعة اكياس وقسط الكاشفية من الخراج السلطاني ٤٩٠ كيساً وفيها من الاجناد ٥٠ لحفظ الامن ونظام الري وتعطى الاراضي للملتزمين الا ان الكاشف يحفظ لنفسه بعض البلاد ليزرعها على حسابه وكثيراً ما يسخر الفلاحين ومواشيهم بحرث الارض وجمع الغلال

وفي هذه الكاشفية ثلاث مدن كبيرة وهي مدينة المحلة وتلقب بالكبرى لاتساعها وكثرة سكانها ومدينة طنطا ويقام فيها سوق عظيمة في كل سنة يقال لها مولد الاحمدي البدوي تنصب فيها المضارب وتقام المسابقات والملاعب والملاهي وسباق عظيم للخيل يحضره الحاكم والاجناد ويبلغ عدد الجياد المتسابقة نحو الفين من الخيول العربية . ويزرع في هذه الكاشفية قصب السكر والارز والكتان والقرطم يستخرج منهُ الزيت للاضاءة ومواشيها كثيرة من غنم وبقر وماعز وجاموس يستخرج منها مقادير عظيمة من الزبدة والالبان والسمن والجبن

المقاطعة الثامنة . كاشفية المنوفية وهي صغيرة ويبلغ عدد قرارها نحو ١٠٣ وحاكمها يدفع الى الباشا ٢٥ كيساً والى الكيخيا اربعة اكياس وقسطها من الخراج السلطاني ٢٩٠ كيساً واراضيها كلها جيدة خصبة يزرع فيها الكتان والقصب

المقاطعة التاسعة . كاشفية المنصورة وعدد بلادها ١٨٤ يدفع حاكمها الى الباشا في كل سنة ٢٥ كيساً واربعة اكياس الى الكيخيا والاغوات وقسطها من الخراج السلطاني ٢٩٠ كيساً وكل اراضي هذه الكاشفية مروج خصبة يزرع فيها الارز والكتان والحبوب على انواعها وفي المنصورة بساتين كثيرة مغروسة بالاشجار المثمرة ويكثر فيها نبت الخشخاش

المقاطعة العاشرة . كاشفية القليوبية وتتصل بضواحي مصر وعدد بلادها ١٨٤ ويدفع حاكمها الى الباشا ٢٥ كيساً والى الكيخيا واعوانهِ اربعة اكياس وقسطها من خراج السلطنة ٢٩٦ كيساً وليس عليها فريضة غلال

ديتري نقولا

باب الزراعة

دود القز

لمحة من تاريخ نشأته واوصافه الخارجية في اطوار حياته

ابنت في نبذة سابقة كيفية تربية نوعين من انواع دود الحرير البري الاصل وقلت بالاختصار ان احدهما يتغذى بورق شجر الخروع والآخر بورق الايلانتوس ثم وعدت في ذلك الحين ان آتي في مقالات تالية على ذكر انواع الديدان الاخرى التي تخرج الحرير مع بيان كيفية معيشتها في وطنها الاصلي ونوع ورق الشجر الذي يتغذى كل منها بهِ . ولما كان دود القز الذي يتغذى بورق التوت اشهر انواع هذه الديدان كلها واهمها في نظر المشتغلين بتربية دود الحرير في البلاد الشرقية آثرت الكلام عليهِ في مقدمة سلسلة هذه المقالات مبتدئاً بلمعة من تاريخ نشأتهِ وكيفية اكتشافهِ

اصل دود القز على ما ذكر في التواريخ الصينية القديمة من التبت الصغرى احدى ولايات آسيا الوسطى التي تدفع الخراج للصين اذ كان معروفاً فيها من عصور مضت عائشاً في الفضاء على اشجار التوت يتنقل حرًّا بين فروعها واغصانها . غير ان الصينيين انفسهم ينسبون اكتشافهُ الى احدى ملكاتهم المسماة سيلنج شي لانها اول من ربتهُ في قصرها وتوصلت الى حل فيالجهِ الحريرية في القرن السابع والعشرين قبل المسيح . ولهذا رفعوا مكانتها الى مصاف الآلهة وجعلوا لها عيداً سنويًا يحتفلون بهِ احتفالاً عظيماً . ومن ذلك الحين ظلت ملكات الصينيين ونساء اشرافهم الى يومنا هذا يتزين لها القرابين يوم عيدها ويربين سنويًا في قصورهن مقداراً قليلاً من دود القز تذكاراً لها واقتداء بها . على ان بعض الباحثين الذين اعتمدوا على التواريخ الهندية القديمة رجّحوا ان اصلهُ من مقاطعات الهند الجبلية لا من الصين وانما لم يذكروا اسماء تلك المقاطعات ولا عيّنوا تاريخاً لنشأتهِ فيها . وبالرغم من الابحاث الكثيرة التي قام بها بعدهم كثيرون من علماء الطبيعة الحديثين الذين ألّفوا في موضوع تربية دود الحرير لم يوفق احد منهم حتى الآن الى تحقيق اسم البلد الذي خرج منهُ هذا الدود ولا للوقوف على ميقات ظهورهِ فالحقيقة لم تزل اذاً مجهولة . الاّ انهُ مهما تعددت الروايات واختلفت الآراء في اسم البلد الذي نشأ فيهِ دود القز فالذي اجمع عليهِ جمهور

المؤرخين الاقدمين والمؤلفين الحديثين ان وطنهُ الشرق الاقصى حيث كان يعيش حرًّا في الفضاء ثم توصّل الناس الى تربيتهِ في بيوتهم وتقل بزورهِ بالتوالي من بلد الى آخر حتى عمّ انتشارهُ انحاء العالم

وهذا الدود كسائر انواع ديدان الحرير المعروفة ليس بالحقيقة من فصائل الديدان اذ ليس للديدان بالاجمال زوائد او اطراف اثرية وهي المعبّر عنها بلسان العامة بالارجل تستعين بها على الدبّ او الزحوف وانما اصطلح الناس على تسميتهِ كذلك لتوفّر الشبه بين شكل جسمهِ المستطيل وشكل الدود فهو اذاً نوع من انواع الحشرات الذبابة التي تقيم على الاعشاب والاشجار لتتغذى بورقها وانما يختلف عنها بقدرهِ ولونهِ واميالهِ وكيفية المعيشة الخاصّة بهِ فضلاً عن كونهِ احقّ منها بالعناية لما فيهِ من النفع لبني الانسان بما تجلب هذه لهُ انواعاً كثيرة من الضرر وتحملهُ على كراهتها وتدبير الوسائل لابادتها

ويتقلب دود القز في اربعة ادوار مختلفة شأن ديدان الفراش الذي من نوعهِ فيتحوّل بقدرة خالقهِ من حال الى حال اذ يبدأ يراهُ الانسان بيضاً حقيراً في اول وجودهِ اذا هو يراهُ بعد امد دوداً دبابًا ساعيًا وراء غذائهِ فمتى اتمّ نموهِ ينسج على نفسهِ غلافاً حريريًّا بيضي الشكل يدفن فيهِ حيًّا ثم يتحول وهو في داخلهِ الى زيز لا حراك بهِ ولا غذاء لهُ الاّ بعض سوائل جسمهِ الصالحة لانمائهِ . وهو يبقى على هذه الحال بضعة ايام يخرج بعدها من غلافهِ بشكل فراش ابيض اللون لا شبه على الاطلاق بين حالتهِ هذه وحالتهِ السابقة بل يبدو كانهُ حيوان آخر (انظر الزرقة شكل ٢ و ٨ و ٩ و ١٠ و ١١) فعليهِ يتولد دود القز من بويضات اعتاد الناس تسميتها بزوراً لكثرة مشابهتها لبزور النباتات والاثمار تبيضها الانثى من فراشهِ عقب تزاوجها بذكورها في اواخر ايام الربيع فتلتصق بالاجسام التي تقع عليها بواسطة الطلاء الغروي الطبيعي الذي يغشاها حين خروجها من جسم الفراش وهذه الحالة هي الدور الاول من ادوار حياة الدود . اما حجم هذه البزور فصغير جدًّا بقدر حب الخردل او بزر ثمر التين ومتوسط قطرها ملليمتر واحد تقريباً وهي بيضية الشكل وان تكن كالمدس مفرطحة قليلاً من جوانبها وفي قممها انبعاج جزئي سببهُ اثر الفتحة التي دخل منها اللقاح والتي يخرج الدود منها حين تنقبهِ انظر شكل (١) . غير انّ لونها أصفر بادئ عند خروجها من جسم الفراش وتحتفظ بهذا اللون ان لم تلقح والاّ فيكدر لونها في اليومين الاول والثاني ويقترب شيئاً فشيئاً الى الحمرة القرفية ومنها الى السمرة في اثناء الاسبوع الاول . وبعد ذلك يتحول تبعاً لجنس الدود الى لون رمادي ضارب الى السواد او الزرقة او

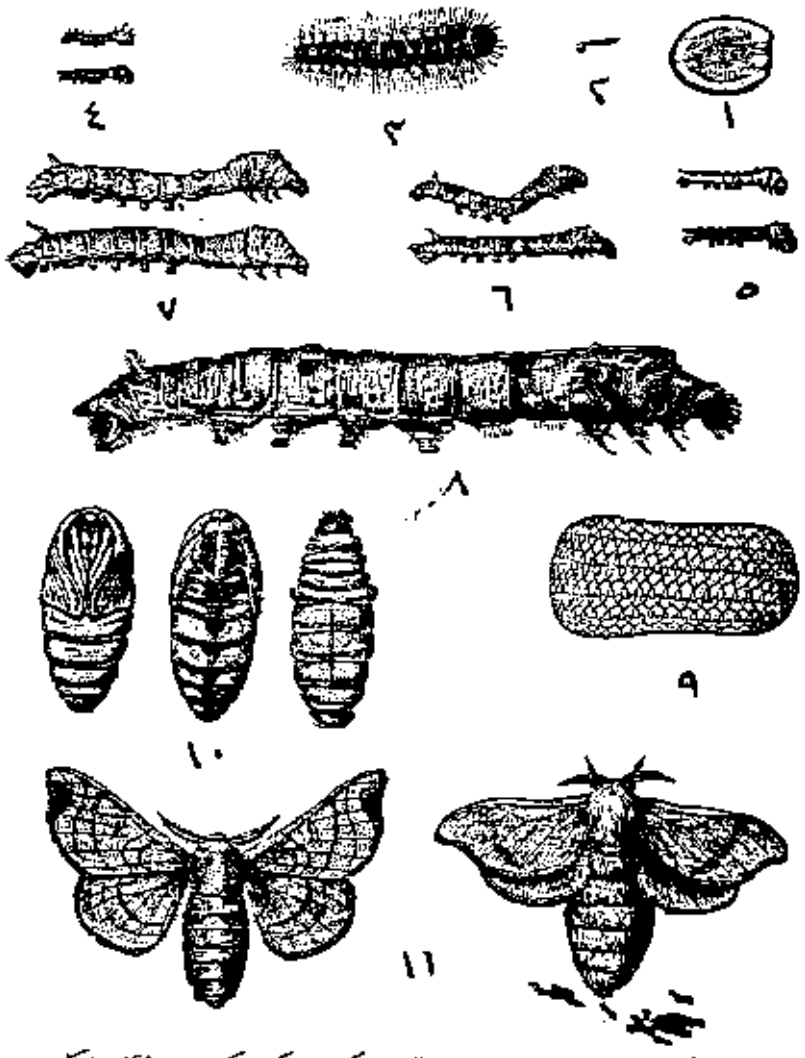

(١) شكل قشرة بيضة دود القز بعد الفقس مكبرة بالمكروسكوب (٢) شكل دود القز عند الفقس بحجمه الطبيعي (٣) شكل دود القز حين ولادته مكبرًا بالمكروسكوب (٤) شكل دود القز في دور عمره الاول قبل انسلاخ جلده وبعده (٥) شكل دود القز في دور عمره الثاني قبل انسلاخ جلده وبعده (٦) شكل دود القز في دور عمره الثالث قبل انسلاخ جلده وبعده (٧) شكل دود القز في دور عمره الرابع قبل انسلاخ جلده وبعده (٨) شكل دود القز التام النمو (٩) شكل فقعة (شرنقة) دود القز لاظهار كيفية نسج الدود لها (١٠) شكل دود القز حين استحالته الى زهر وشكلا الزهر من الظهر والبطن (١١) شكلا فراش دود القز ذكرًا وانثى

دود الحرير في اطواره المختلفة

مقتطف يوليو ١٩١٧

امام الصفحة ٦٤

الخضرة ويظل اللون الذي تتخذهُ لونها حتى يأتي ميعاد نقلها . وبعد ان يمضي على هذه البويضات مدة تسعة اشهر تقريباً وهي على حالتها هذه ويجيء اوان الربيع من السنة التالية يبدأ الجدود الذي اعتراها في فصلي الصيف والشتاء بالزوال رويداً رويداً ثم يطرأ على داخلها تغيير يدوم مدة عشرين يوماً لتكون في غضونها الجرثومة الحية التي تحتويها وتتوالى عليها ادوار التحول فتتحيل الى جنين بهيئة شريط او رباط يتغذى في اثنائها بالمادة الصفارية المحيطة به الى ان تنفد هذه المادة ويتم نموهُ بفعل حرارة الجو فينقلب البويضة مبتدئاً بدوره الثاني ويخرج منها بشكل دود صغير الحجم اسود اللون في اوائل عمره (انظر شكل ٢) ثم يكون رمادياً ضارباً الى بياض في اواخره الاَّ ما شذ عن ذلك فيكون شديد السمرة او مرسوماً على كل فقرة من فقرات جسمهِ خط اسود اشبه بخطوط جلد الفرا (حمار الوحش)

اما جسمهُ فمن النسيج الخارجي من العظام ومؤلف من فقرات متحركة اتحد بعضها ببعض عددها اثنتا عشرة فقرة عدا رأسهُ وعجزهُ وعلى جانبي تسع منها لجهة الظهر فوهتان سوداوان مستديرتان للتنفس ويظاهر الفقرة الحادية عشرة نتوء صغير يشبه القرن (انظر شكل ٨) ويكسو جسمهُ هذا حين ولادتهِ وبر اسود دقيق كالشوك وطويل بالنسبة لحجمهِ (انظر شكل ٣) ثم يحافظ تدريجاً عن ظهرهِ وعن بعض اعضائهِ كما نما الدود وتقدم في العمر . وعلى جانبيهِ لجهة البطن ارجل ست منها امامية قشرية وعشر خلفية غشائية لكل منها فائدة خاصة ووظيفة معينة . فالارجل الامامية مركزة في جانبي كل فقرة من الفقرات الثلاث الاولى التي تلي رأسهُ وهي فضلاً عن انها مركبة من ثلاثة مفاصل فانها تنتهي باظافر حادة معوجة الى الداخل . فالاولى من هذه الارجل يستعملها الدود لاجتذاب ورق التوت اليهِ والثانية ليضم بواسطتها طعامهُ الى فمهِ والثالثة وهي اقصر الجميع يسل بها خيطين حريريين دقيقين يخرجان معاً من فتحة زائدة حلمية صغيرة مخروطية الشكل كائنة في قاعدة شفتهِ السفلى تسمى حريرها من وعائين طويلين كقناتين متصلين بها من الداخل ثم يلصق الدود الخيطين الواحد بالآخر كي يكتسبا من المتانة ما يكفي لحمل جسمهِ اذا تدلى عند شعورهِ بقرب خطر ما او لوقايتهِ حين تغليفهِ لهُ عند ما يصير في دوري الزيز والفراش خاتمة ادوار حياتهِ . ولكن هذه الزوائد او الارجل الامامية وان تكن جميعاً للدود بمثابة الايدي والاصابع الاَّ انها لا تخرج عن كونها قوائم تساعدهُ على الدبيب او على تثبيت مقدم جسمهِ ريثما ينقل مؤخرهُ من مكان الى مكان . والارجل الخلفية هي عبارة عن اطراف ثنوية مركزة في الفقرات السادسة والسابعة والثامنة والتاسعة والثانية عشرة من جسمهِ ،

وهي جميعها كالارجل الامامية مركبة من ثلاثة مفاصل وانما الاخير منها فضلاً عن انهُ مستعرض الشكل وقابل للانقباض فانهُ يخشري في جوفه اظافر قصيرة دقيقة تعين الدودَ على التمسك بما يقف عليهِ بحيث يستطيع وهو على غصن او عود ان يتناول غذاءهُ عن بعد لانهُ متى تعلق بهذه النوائم سهل عليهِ ان ينتصب ويمدد فقرات جسمهِ فيخرج اذ ذاك مقدمهُ الى خارج موقفهِ ليحركهُ كيف شاء و يديرهُ حيث رام و يقبض على غذائهِ بارجلهِ الامامية

ولدود القز غير هذه الاعضاء الخارجية اعصاب وعضلات وغدد وانسجة واجهزة داخلية متعددة كثيرة الاهمية سريعة العطب لا بد لكل مربٍ لدود الحرير من العلم بها والوقوف على كنهِ وظائفها حتى يتسنى لهُ القيام بعملهِ على احسن منوال ويتجنب الامراض والاوبئة التي قد تطرأ على الدود في اثناء تربيتهِ . ولما كان المقام لا يساعدنا على ذكر هذه الاعضاء كلها ووصف تلك الامراض والاوبئة واعراضها وطرق العدوى بها مع بيان الوسائل الواقية منها فحسبنا ان نرد طالب المزيد من البيان الى كتابنا في علم تربية دود الحرير مقتصرين هنا على ايراد اوصاف دود القز الخارجية رغبة منا في تمرينهِ للقراء اذ الغرض الآن الدلالة عليهِ فقط لا الاستقصاء.

فونس خلاط

ستأتي البقية اختصاصي بفن تربية دود الحرير

ربح الزراعة في مصر

يظن البعض ان المالك المصري يربح من اطيانهِ ربحاً كبيراً جداً لا يقاس بهِ ربح آخر . وهذا قد يصدق على اصحاب الاباعد الكبيرة الذين ورثوها فلم يشتروها بما تساويهِ اولم يتعبوا باصلاحها او الذين اشتروها بثمن بخس في ايام رخص الاطيان . اما الذين اشتروا الفدان بخمسين جنيهاً فاكثر الى مئة او مئتين والذين اشتروا اطياناً رخيصة وانفقوا مبالغ كبيرة على اصلاحها فلا يزيد متوسط ربحهم منها على خمسة في المئة من الثمن الذي اشتروها بهِ او انفقوهُ عليها وباقي الربح يذهب الى المستأجر والعامل . وما ذلك الاَّ لان متوسط الضرائب على الاطيان يبلغ مئة غرش على الفدان فكأنها تستنزل عشرين جنيهاً من متوسط ثمنهِ . ولان اكثر اعمال الزراعة يعتمد فيها على الايدي العاملة لا على الآلات

ففي القطر نحو ستة ملايين فدان تزرع ولا يقل عدد العمال فيها عن ثلاثة ملايين نفس فكل عامل (او نفر) يخدم فدانين او كل مئة عامل يقومون بخدمة مئتي فدان . و يبلغ صافي ثمن المحصول من المئتي فدان في السنة نحو ٢٤٠٠ جنيه يأخذ منها المالك ٢٠٠ جنيه

اي يعدل خمسة في المئة بالنسبة الى ثمن الاطيان اذا حسبنا متوسط ثمن الفدان سبعين جنيهاً ويأخذ منها الانفار العاملون ١٠٠٠ جنيه والمستأجرون ٧٠٠ جنيه . فاكثر ايراد الزراعة ذاهب الى المستأجر والعامل لا الى المالك

وقد اطلعنا الآن على احصاء ديوان الزراعة في بلاد الانكليز لانواع مختلفة من اطيانها الغالية والرخيصة ومتوسط ريعها وكيفية قسمته على المالك والمستأجر والعامل فاذا متوسط ثمن الفدان ١١ جنيهاً ومتوسط ايراده في السنة ٦ جنيهات ويلزم لكل مئتي فدان سبعة انفار فقط لكثرة الاعتماد على الآلات الزراعية والاكتفاء بحصول واحد في السنة . فايراد المئتي فدان ١٢٠٠ جنيه ينال المالك منها ٣٦٤ جنيهاً اي ٣٢ في المئة والمستأجر ٥٧٦ جنيهاً اي ٤٨ في المئة والانفار ٣٦٠ اي ٣٠ في المئة فيبلغ ايراد النفر في السنة اكثر من ٥١ جنيهاً ويبلغ ايراد المالك بالنسبة الى ثمن اطيانه ١٢ في المئة . فالفرق كبير بين دخل المالك عندنا ودخل المالك في بلاد الانكليز وبين دخل النفر هنا ودخله هناك وسببهُ الاكبر قلة استعمال الآلات الزراعية عندنا وكون الضرائب عالية جداً على اطيان القطر المصري وكون الاطيان غالية جداً

ورب معترض يقول لماذا تقولون في ثمن الاطيان فلو حسبتم ان متوسط ثمن الفدان ٣٥ جنيهاً بدل ٧٠ جنيهاً لبلغ ايراد المالك منهُ عشرة في المئة فنجيب اولاً ان الذين اشتروا اطياناً رخيصة ثم اصلحوها حتى صارت من الاطيان الجيدة انفقوا على اصلاحها ما صار بهِ ثمنها اكثر من سبعين جنيهاً هذا من الوجه الواحد ومن الوجه الآخر ان متوسط ضرائب الاطيان وهو جنيه على الفدان لم نحسبهُ مع صافي الايراد وهو بمثابة ٢٠ جنيهاً في ثمن الفدان

ثمن القمح

يزعم البعض ان الحبوب غلت في القطر المصري لانها ترسل الى البلاد الانكليزية وتباع فيها . و يظهر لنا ان هذا الزعم بعيد عن الصحة فقد امرت الحكومة الانكليزية في ١٦ ابريل الماضي ان لا يزيد ثمن الكوارتر من القمح الذي زنتهُ ٤٨٠ رطلاً على ٧٨ شلناً فيكون ثمن الاردب منهُ ٢٥٣ غرشاً لاغير . والقمح الذي يؤكل في البلاد الانكليزية اجود من القمح المصري واغلى منهُ . ويجب على البائع ان يوصل القمح الى سكة الحديد لينقل الى المشتري او ان ينقلهُ الى مخازنهِ فلا يحتمل والحالة هذه ان يصدر الى بلاد الانكليز قمح مصري وهو في سعره الحاضر

الحرث بحراريث البترول

جربت الحكومة الانكليزية الحرث بحراريث البترول الاميركية وكان المحراث منها يجر ثلاث سكك فوجد انه يحرث ثلاثة ارباع الفدان في الساعة ويحرق على حرث الفدان الواحد جالونين ونصف جالون من البترول اي بمجموع اقات او ما يساوي ١٥ غرشاً من البترول . والحرث جيد بقلب الارض قلباً الى عمق سبع بوصات وقوة المحراث الواحد مثل قوة ١٦ حصاناً وهو من نوع موغول American Mogul يتصل به Canadian Cockshunk

---

تجارب في زراعة القمح

طالت بنا الاهتمام ما ذكرهُ المقتطف في عدد نوفمبر سنة ١٩١٦ عن زراعة القمح بالتجذير او بالتكنين وبناء على اشارته توجهت وتنشقر لمعاينة حقل التجارب التابع لمدرسة الزراعة في الجيزة ومشاهدة الزراعة بنفسي والوقوف على كيفية زراعة القمح واتفق اني زرت حقل التجارب بينما كان العمال يجربون زرع القمح بالتخطيط فوجدت انهم بعد ان حرثوا الارض وزحفوها قسموها الى ترابيع متساوية المساحة طول كل تربيعة حوالي القصبة وعرضها كذلك وشاهدت الانفار يقرون في الارض بعود خطوطاً مستقيمة متوازية عمقها نحو خمسة سنتيمترات ثم ينثرون حبوب القمح في هذه الخطوط تنثيطاً اسوة بزراعة الذرة وذلك بنسبة ثلاث كيلات للفدان الواحد وبعد وضع الحب في الخطوط يردمونها ثانية فتعود الارض الى حالتها الاولى من الاستواء وبعد ذلك يروونها كزراعة القمح العادية . وقد لاحظت انهم جعلوا البعد بين خطوط الزرع المتوازية على نوعين فجعلوها على بعد اربعين سنتيمتراً بين كل خطين في بعض النقط وعلى بعد عشرين سنتيمتراً في نقط اخرى

ثم فهمت من رئيس العمال انهُ عند ما ينمو النبات ويصير طوله حوالي العشرة سنتيمترات يعزقون المساحات الخالية من الزراعة بين الخطوط عزقاً خفيفاً ويتبعون في ما عدا ذلك نفس الترتيب المتبع في زراعة القمح العادية

فعزمت في ذلك الوقت على عمل بعض تجارب في هذا النوع من الزراعة واتبعت نفس الخطة التي شاهدتها في حقل التجارب وانما جعلت البعد بين كل خطين ثلاثين سنتيمتراً

اي متوسط المساحتين اللتين شاهدتهما في حقل التجارب وقد توصلت الى ما يأتي : —

نتيجة تجارب زراعة القمح بالتخطيط التي عملت في ارض مرشاق اخوان في ناحية منشاة رضوان مركز كفر صقر شرقية في سنة ١٩١٧ والارقام محسوبة لمتوسط الفدان الواحد : —

نوع القمح	كيفية الزراعة	تاريخ الزرع	كمية التقاوي بالكيلة	نوع السماد	كمية السماد بالكيلو	نتيجة المحصول				
						تبن		قمح		
						اقة	حمل	قدح	كيلة	اردب
بلدي	بالتخطيط	٢٠ و٢١ نوفمبر	٣	نترات السودا	٨٠	٥٦	٩	—	٥	٩
هندي	»	» » »	٣	» »	٨٠	٧٢	٩	—	٦	٩
بلدي	»	» » »	٣	سلفات النشادر	٦٠	٨	١٠	—	٠	١٠
هندي	»	» » »	٣	» »	٦٠	١١٦	٩	—	٩	٨
بلدي	»	» » »	٣	بدون سماد	—	١٧٦	٦	—	١١	٦
هندي	»	» » »	٣	» »	—	٤٠	٦	—	٦	٦
هندي	عادة	٢٢ و٢٣ نوفمبر	٦ ١/٢	نترات السودا	٨٠	١٢٠	٧	٦	٣	٧
هندي	»	» » »	٦ ١/٢	سلفات النشادر	٦٠	١٣٠	٩	١	١٠	٧
هندي	»	» » »	٦ ١/٢	بدون سماد	—	١٥٣	٦	٥	٥	٦

وقد عملت هذه التجارب في ارض كانت مزروعة برسيماً في سنة ١٩٠٦ وتركت خالية او كشفاً الى ان زرعت لحاً

ولا يخفى ان البحث في تكاليف الزراعة من اهم المباحث التي ينبغي ان يلتفت اليها للتوصل الى نتيجة محصول الارض الحقيقي . ولذلك فاني فتحت مصاريف قطع التجارب من النوعين حساباً خصوصياً فوجدت ان مصاريف الحرث والتزحيف والتعريض والري في نوعي الزراعة متساوية وان زرع التخطيط يختلف عن الزرع العادي بمصاريف التقاوي والتخطيط والتلقيط والعزيق فكانت النتيجة كما يلي : —

المصاريف الخصوصية في زراعة التخطيط

مصاريف عمل الخطوط	٣٥	للفدان
« الزرع بالتلقيط	٥	«
« العزيق	٢٢	«
(ثمن ٣ كيلات تقاوي على حساب ثمن الاردب ١٨٠ قرشاً	٤٢	«
مجموع المصاريف الخصوصية	٩٧	«

المصاريف الخصوصية في الزراعة العادية

مصاريف الزراعة بذراً	٢	للفدان
(ثمن ٦ كيلات ونصف تقاوي بنفس السعر	٩٧٫٣٠	«
مجموع المصاريف الخصوصية	٩٩٫٣٠	«

وبعبارة اخرى ان تكاليف الزراعة العادية هي اكثر من تكاليف الزراعة بالتخطيط . ولو قدرنا ثمن التقاوي بالاسعار الحالية اي ٣٠٠ قرش للاردب لوجدنا ان زراعة التخطيط اقل نفقة من الزراعة العادية بسبعة وثلاثين غرشاً ونصف في الفدان

وقد فاتني في عمل تجارب زراعة التخطيط ان اتبع نصيحة المقتطف من جهة العزيق فاني اتبعت خطة مصلحة الزراعة بان عزقت المساحة الخالية من الزراعة وتركت التراب المعزوق في محله وكان الانسب ان يلقى التراب الناتج عن العزيق فوق خطوط النبات بحيث يتكون منه مساطب صغيرة شبيهة بمساطب القطن لان ذلك يساعد النبات على التجذير او التكتين ويزيد في عدد السنابل وفي كمية القش وبالنتيجة يزيد في محصول التبن والقمح وزيادة تذكر

امين مرشاق

وقاية الطيور الآكلة للحشرات

اصدرت وزارة الزراعة المنشور التالي :

رغبة في المحافظة على الطيور الآكلة للحشرات وهي من انفع الاشياء للزراعة من حيث انها تعمل على منع ما يصيبها من فتك الحشرات بها صدر قانون (رقم ٩ في سنة ١٩١٢) يحرم قتل عدة انواع من الطيور ذكرت اسماؤها فيه . ولقد وزعت الوزارة منشورات كتبتها بعدة لغات وضمنتها قائمة الطيور المحمية وبينت فيها انهُ محرم على الجمهور ان يصيد اي طير من الطيور المدرجة في تلك القائمة او يقتنصها او يهلكها او ينقلها او يتجول بها في الطرقات او يحبسها او يعرضها للبيع او ان يبيع او يشترى شيئاً منها وان من يخالف منطوق هذا القانون يعاقب اول مرة بغرامة قدرها جنيه وتصادر البنادق وادوات الصيد والطيور التي تكون في حوزتهِ وفضلاً عن ذلك فان صور اغلب هذه الطيور ملونة بلونها الطبيعي معروضة في الاماكن العامة ليراها الناظرون فلا يخطئوها اذا عاينوها

ومن النتائج التي ترتبت على القانون المتقدم ذكرهُ اعادة توطين ابي قردان احد هذه الطيور المحمية فان الفلاحين قد عملوا بالقانون حتى اصبح هذا الطير يرى في كثير من انحاء الوجه البحري بعد ان كان عددهُ حين صدور هذا القانون قد نقص حتى لم يبق منهُ هناك الا سرب واحد في مديرية الدقهلية . ولذا يصح ان يقال ان الوسائل الشديدة التي اتخذتها وزارة الزراعة ومصلحة وقاية الحيوانات قد كللت بالنجاح في هذا السبيل

اما فيما يتعلق بالطيور الاخرى التي هي اصغر من ابي قردان جسماً فمن دواعي الاسف ان الجمهور لم يراع القانون رعاية دقيقة وذلك ان الرخص تعطى بموجب لائحة الصيد لقنص الطيور غير المحمية او قتلها بواسطة الشباك او البندق ولكن حاملي هذه الرخص على ما يظهر كثيراً ما يسيئون استعمالها فيقتلون الطيور المحمية ايضاً ولذلك لا يزال الباعة يتجولون في شوارع الاسكندرية وضواحيها بصغار الطيور بعد ان ينزعوا ريشها عنها حتى يصح تعيين جنسها متعذراً ولقد شوهد الكروان ايضاً يباع منذ عهد قريب في جوار القاهرة . نعم ان العصفور العادي اكثر صغار الطير شيوعاً في الاسواق وهو سهل التمييز عن الطيور الآكلة الحشرات بمنقار عميق غير حاد ولكن البيع غير مقتصر عليهِ بل يشمل الطيور المحرم صيدها ايضاً

ومن الطرق البسيطة لتمييز صغار الجسم من الطيور تمييزاً محققاً معاينة منقارها فان كل طيرة بحجم العصفور العادي او اصغر منهُ اذا كان منقارها ضيقاً مستدقاً طولهُ نحو سنتمتر وربع

او اقل فهي طيور آكلة للحشرات وبعبارة اخرى هي من الطيور المحمية المحرم صيدها او قتلها

ولذلك يجب على حضرات موظفي الحكومة ان يتنبهوا لهذا الامر ويبلغوا البوليس حوادث المخالفات التي ترتكب ضد القانون ليشاهدوها ويحققوها بعد تطبيق الطريقة المتقدمة

ولا يخفى ان قدرة الطيور عدوة الحشرات في هذه البلاد قد صيرتها مرتعاً لتلك الحشرات المؤذية ومن المقرر — الذي اصبح في حكم البديهيات — ان الوسائل الصناعية لابادة الحشرات لا يتأتى اثرها بما تحدثه الطبيعة نفسها بواسطة الاعداء الطبيعية ولذلك يتعين على المزارعين ان لا يدخروا وسعاً في المحافظة على الطيور الآكلة للحشرات وان لا يقصر احد ممن يهمهم فلاح الزراعة في القطر عن المعاونة على هذه المهمة ما استطاعوا اليها سبيلاً وخصوصاً حضرات موظفي الحكومة على اختلاف اعمالهم ومصالحهم وموظفي البنوك والشركات العقارية والتجارية والدوائر الزراعية ونحوها

وهذا بيان الطيور المحمية :

القبرة	ثلاثة انواع
ابو فصاده	» »
ابو قردان	نوعان
الهدهد	»
العصفور ساكسيكولا	كل انواعه ويشمل "*Chats*" و "Redstarts" و "Blue-throats" و "White throats" و « عصفور البيبت »
العصفور المغني	كل انواعه ويشمل « البلبل »
الذباب	كل انواعه ثلاثة انواع
الصغير	
انوروار	ثلاثة انواع
ازقزاق الطقطاق	اربعة »
انكروان	نوعان »
البيكاليج	عديد من طيور صغيرة الجسم منها العصفور المغني الاحمر المعروف عند العوام باسم « ابي معزز » او « عزة » و « الحاج قاسم »
القلاق	

وزير الزراعة احمد حلمي

الحشرات المضرة بالرز في العيط

ان استيفاء الكلام على هذه الحشرات من اختصاص علمائها وهم لم يكتبوا بعد في هذا الموضوع شيئاً يرجع اليهِ او يُستدُّ بهِ اقل اعتداد لذلك اكتفي هنا بذكر ما شاهدتهُ من وجهة عملية وهي التي تهم زراع الرز

شاهدت بعد زراعة الرز باسبوعين احياناً وباربعة اسابيع او خمسة احياناً اخرى ان نباتهُ مصفر ذابل وبالبحث وجدتهُ مصاباً بحشرتين صغيرتين (الاولى) لاصقة بجذورهِ خاصةً وقريبة الشبه بالقمل شكلاً ولوناً ولذلك يسميها بعض الفلاحين (قملة الرز) والثانية تعرف بالدودة وتصيب اورافهُ وجذورهُ وبعضها شبيه بالحشرة الآنفة الذكر اي ان لونها أشهب وسخ والبعض الآخر احمر اللون او اسود

ولابادة هاتين الحشرتين يصرف الماء عن الرز ويترك بدون ري ٢٤ ساعة او اكثر اذا كان الجو صافياً والارض نقية فتهلك اثناءها الحشرات من حرارة الشمس وانقطاع الماء عنها وقد يقتضي الحال تكرار هذه العملية مرةً اخرى او مرتين . وليلاحظ ان البقع الواطئة التي لا ينكشف الماء عنها بالصرف لا تهلك ديدانها بل تُعدي ما يجاورها ولذلك لا بد من الاعتناء بتزحها جيداً . وفي حالة ما تكون الاصابة بالدودة شديدة اذ يوجد على الاوراق كثير من الديدان يُفسر نبات الرز بالماء غمراً ثقيلاً ثم يصرف الماء عنهُ صرفاً قوياً فيجرف في تياره القوي السريع تلك الديدان او اكثرها ويزيلها الى المصارف فتموت والباقي يهلك بعد الصرف كما ذكر قبل . ويصاب ايضاً وهو حديث بحشرة صدفية تعرف عند الفلاحين بالحنجار او القوقع (مفردهُ خنجارة وقوقعة) وهي عبارة عن حلزونة من الصدف يسكن فيها جسم حي هو جسم الحشرة فتطفو على وجه الماء وتسير نحو النبات فتأكل اورافهُ وتسبب ايضاً اقتلاعهُ قبل تمكنهِ تماماً في التربة . وتُباد هذه الحشرة بما تُباد بهِ الدودة

ويصاب ايضاً بالمن وعلاجهُ صرف الماء مدة ٢٤ ساعة كما ذكر في ابادة الحشرة المعروفة بالقملة او الخملة . ثم ايضاً يصاب ايضاً وهو تام النمو بحشرة تقرط ساقهُ من اعلى فتقع السنابل وتفسد وتسمى دودة السنبل والدويبة بالتصغير ولم اقف على علاج لها

احمد الالفي

باب تدبير المنزل

قد افتتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما مهم امر البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة وغير ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

حمى مالطة

حمّى كانت كثيرة الانتشار في جزيرة مالطة فنسبت اليها ولكنها اصبحت قليلة جداً فيها حتى لقد اعترض المالطيون على نسبتها اليهم . ويطلق عليها ايضاً اسم حمّى البحر المتوسط ويقال لها في جبل طارق حمّى الصخر وفي ايطاليا حمّى نابولي . ويعلم الآن انها موجودة في الهند والصين وجزائر فيليبين . وهي خفيفة الاعراض طويلة الاقامة تشفى احياناً حسب الظاهر ثم تنتكس . يكثر فيها العرق المنهك والآلام العصبية في الاعضاء والانتفاخ في المفاصل ولها مكروب خاص بها اسمهُ Micrococcus Melitensis وكثيراً ما يدخل الجسم مع لبن المعزى . وقد كانت هذه الحمّى كثيرة التفشي في حامية مالطة فلا منع تقديم لبن المعزى لحامية الأ بعدما يئس بطل تفشي الحمّى فيهم . وقد تنتقل بوسائط اخرى ولكن ذلك غير محقق ولا يظهر انها تنتقل بالعدوى من شخص الى آخر . وهي تكثر في اشهر الصيف وتصيب الناس في كل سن ولكن الغالب ان مَن يصاب بها مرةً لا يصاب مرةً اخرى . وتأتي اعراضها خاصةً محجوبة بوباء وفقد القابلية وصداع وارق وارتفاع قليل في درجة الحرارة ولاسيما في المساء وتزيد هذه الاعراض وتشتد الحرارة الى ان تبلغ الدرجة ١٠٤ او ١٠٥ بميزان فارنهيت (٤٠ الى ٤٠½ بميزان سنتغراد) في المساء وتحدث الآلام العصبية وورم المفاصل . وتزول هذه الاعراض او تخف كل بضعة ايام او اسابيع مع زيادة في العرق وهبوط في درجة الحرارة ثم تشتد الاعراض ثانيةً وقد تستمر الحال كذلك بضعة اشهر حتى لقد يهزل الجسم بها هزالاً شديداً ولكن يندر ان تنتهي بالموت الأ اذ حدث الموت من ضعف القلب او اختلاطات في الرئتين . وقد لا يسهل تشخيص المرض اولاً والغالب ان يوصل الى ان الحمّى هي حمّى مالطة بالاستدلال على انتفاء كل ما سواها كالتيفويد والملاريا والحمى الروماتزمية ولكن بعد كشف المكروب صار يسهل الاستدلال عليها باكتشافه في دم المصاب بها

العلاج — ليس لها دواء خاص يشفيها . فاذا لم تزد حرارة المصاب على الدرجة ١٠٣ يطعم البيض والخبز والارز ورطلين او ثلاثة من اللبن في اليوم . واذا استطاع هضم هذا الطعام من غير تعب يطعم قليلاً من السمك واللحم ولكن اذا كانت درجة الحرارة اعلى من ذلك فلا بدَّ من الاقتصار على الطعام السائل كما في التيفوييد . ويحسن مسح البدن باسفنجة بماء بارد ولاسيما اذا كانت الحرارة شديدة . واذا ورمت المفاصل يخفف المها بلفها بخرق مبلولة بالماء البارد ويحسن الانتقال الى مكان هواؤهُ بارد اذا استطاع المريض السفر بسهولة ومن نقه يدهن جسمهُ بالزيت او بزبدة النارجيل لتغذيته ويعطى مقوياً من مركبات الحديد

الافراط في الاكل

تسع المعدة نحو رطلين من الطعام فالافراط في الاكل الى ما يزيد على هذا القدر كثيراً يفضي الى تمدد المعدة فيدفع الحجاب الحاجز الى فوق ويضغط القلب والرئتين فيعوق حركتها . ثم انهُ اذا كان الوارد من الطعام على المعدة يزيد على حاجة الجسم الفسيولوجية فان بعضهُ يخرج من الجسم بطريق الكليتين بعد تحولهِ زلالاً وسكراً . وهذا نادر الاَّ اذا زاد الوارد زيادة فعلية . وبعضهُ وهو قليل جداً يخزن في الجسم بشكل دهن . اما الباقي وهو الاكثر فيحرقهُ الجسم ويستمدّ منهُ حرارتهُ ومعظم هذا العناء يقع على العضلات . ولكن زيادة الاحتراق تفضي الى زيادة الفضلات وهذه تستدعي زيادة عمل الاعضاء المفرزة وفيهِ ما فيهِ من الضرر

على ان معظم ضرر الافراط آتٍ من تولُّد السموم في الجسم واعراض هذا التولد صداع ودوار وكسل ونعاس في غير اوانهِ واغتمام لغير سبب ظاهر وسوء خلق . واذا دام الحال على هذا المنوال تعرَّض الجسم للتقرس او ما يسمَّى عادة بالروماتزم من غير تعيين او تدقيق وظهر ذلك في اواسط العمر او اواخره . ويقال اجمالاً ان الذين يبلغون سن الشيخوخة في عافية هم الذين اعتدلوا في مأكلهم ومشربهم في ادوار عمرهم الاخرى

وصايا للآكلين

« ليكن طعامك بسيطاً في نوعهِ معتدلاً في مقدارهِ اقلهُ من المواد الحيوانية واكثرهُ من المواد النباتية . وكلُّ المواد النشوية والنيئة تحتاج الى مضغ كثير فالواجب ان يكثر

من مضغها . اما الطعام الحيواني فلا يحتاج الى المضغ الكثير مثلها . وليكن طعامك متنوعاً في اوقاته المختلفة ولا تشرب على الطعام »

هذه وصايا اوصى بها الدكتور هري كبل الانكليزي وقد سئل السر لثون ميكس عن سبب طول عمره (توفي وعمره ٨٧ سنة) فقال :

« آكل قليلاً بعد منتصف النهار وطعامي يقتصر على شيء من الشوربة والحلوى . ولا اشرب خمراً ابداً وانما اشرب ملء كأس من الويسكي في رطل من الماء المعدني الساعة الاولى بعد الظهر »

مقدار الطعام اللازم للجسم

يحتاج الرجل العادي الذي لا يروّض جسمهُ كثيراً الى نحو رطلين ونصف من الطعام كل يوم . والرجل الذي يعمل عملاً بدنياً يجهد فيهِ عضلاتهِ اجهاداً معتدلاً يحتاج الى اربعة ارطال . ولكن يجب ان نحسب حساب الامزجة واختلافها فان زيداً وهو صحيح الجسم قد يكفيهِ من الطعام ما لا يكفي عمراً وهو صحيح الجسم مثلهُ وما ذلك الاّ لاختلاف الامزجة وطبائع الاجسام ومعظم هذا الاختلاف حادث عن الاختلاف في مقدار ما ينفقهُ الجسم من مادتهِ وفي سرعة ذلك الانفاق . ثم ان العناية بهضم الطعام حتى يمتزج بهِ اللعاب تمام الامتزاج تحفظ حيوية الجسم وترمّم ما تهدّم من بنائهِ بمقدار من الطعام اقلّ مما يحتاج الجسم اليهِ اذا لم يكن المضغ تامّاً

ونحن انما نحيا بما تمثلهُ اجسامنا من الطعام لا بما نبتلعهُ . وثمة على اختلاف من حيث اجهزتنا الهضمية فاصحاب الاجهزة السليمة يستخرجون من طعامهم غذاء اكثر مما يستخرجهُ اصحاب الاجهزة السقيمة . واذا كان الهضم جيداً كان الدم جيداً ايضاً وبالتالي الصحة

الشاي والقهوة

ليس في الشاي والقهوة مجردين عن اللبن والسكّر والماء مادة مغذية بل كلّ ما فيهما مادة قلوية بينها وبين الحامض اليوريك لحمة نسب وهي انكافيين . وليس هناك دليل على ان الشاي والقهوة يضران شاربهما اذا اتقن تحضيرهما وشربهما باعتدال بل انهما بالقصد من ذلك ينعشانهِ « ويروّقان » دماغهُ كما يقول الناس في احاديثهم . ولكن من الاطباء من يقول ان هذا الفعل المنسوب اليهما وهمي متأتٍ بالعادة وانهُ اذا امكن الخداع فيهِ كأن

يقال لمن يشرب كاس ماء سخن ان فيهِ قهوة او شايًا فعل الماء فيهِ فعل الشاي والقهوة . وقات قائلي هذا القول ان الكافيين الذي في القهوة والشاي منبّه لعمل القلب وهذا التنبيه هو سبب ما يشعر بهِ شاربهما من النشاط بعد عمل شاقّ بدنيًا كان او عقليًا

الخبز الاسمر والخبز الابيض

كثر التحدث هذه الايام بالخبز الاسمر والخبز الابيض بعدما اصدرت الدول المتحاربة الاوامر الى شعبها بتحليل هذا الصنف من المواد الغذائية او تحريم ذاك لما عرف واشتهر ان الموجود من الحبوب وخصوصًا القمح لا يكفي آكليهِ في هذا العام الاَّ ببذل الجهد في الاقتصاد . والمراد بالخبز الاسمر الخبز المصنوع من الدقيق غير المنقّى اي الذي لم ينفصل عنهُ سنهُ وخشكرهُ والابيض ما فصلا عنهُ . واليك جدولاً صغيرًا للمقابلة بين تركيب الصنفين كيماويًا

	الخبز الاسمر	الخبز الابيض
	٤٥ في المئة	٤٠ في المئة
ماء	٣٫٦ ٠	٥٫٦ ٠
بروتين	٢٫١ ٠	١ ٠
دهن	٨٫٤٤ ٠	٢٫٥١ ٠
نشا وسكّر ودكسترين	٥٫١ ٠	٣٫٠٠ ٠
سليولوز (لا يهضم)	٢٫١ ٠	١ ٠
مواد معدنية		

اما الدكسترين فنوع من الكربوهيدرات بالاختمار او الحرارة حتى يفقد صفتهُ الاصلية وهي الصفة الجلاتينية . واما السليولوز فنوع آخر من الكربوهيدرات لم يفقد صفتهُ الجلاتينية

الزكام وسببهُ وعلاجهُ

المشهور ان بعض الامراض كذات الرئة والحمّى الروماتزمية والزكامات على انواعها قد تصيب الناس من الجلوس في مجرى هواء او بلل ملابسهم او النوم في غرف هوارُها رطب . ولكن المقرر طبيًا الآن ان سبب هذه الامراض مكروبات تنتقل من العليل الى الصحيح بواسطة رشاش اللعاب او بوسائط اخرى . اما التعرض للبرد بالجلوس في مجرى هواء او

يلبس ثياب صيفية او ينام في غرف رطبة فلا يجتنب الامراض المذكورة مباشرة بل يضعف مقاومة الجسم للعدوى فيعدى . وهناك عامل آخر يجب أن لا يُقضى عنهُ وهو انهُ اذا كان الجلد بارداً قليل الدم ضعفت احدى وظائفهِ وهي طردهُ لفضلات الجسم . ألا ترى ان البرد يعرّض الجسم لعدوى الامراض خصوصاً اذا كان الجسم متعبًا اي مثقلاً بالفضلات . اولا ترى ايضاً ان خير الطرق لاتقاء عواقب البرد انما هو تقوية الجلد وتنشيطهُ على العمل بالاستحمام في ماء حارّ ولبس ثياب دافئة . واذا كان البرد او الزكام شديداً فقد يفيد المصاب مع الحمّام الحار والتدفئة ان يتناول سهلاً فان المسهلات من المطهرات ومزيلات الفضلات

ضبط المقاييس

تهتمّ الحكومات الراقية بضبط المقاييس والمكاييل والموازين حتى لا يغبن احد من رعاياها فلا يدفع المشتري ثمن اربعين متراً من الحرير وهو لم يأخذ سوى ثلاثين لنقص المقياس . ولا ثمن خمسين اردبًّا من الحنطة وهو لم يستلم سوى اربعين لنقص المكيال . ولا ثمن ستين رطلاً من الدقيق وهو لم يعطَ سوى خمسين لنقص العيار . وهذا ما تفعلهُ الحكومة المصرية الآن ولكن الحكومات الراقية جدًّا ولاسيما الحكومة الاميركية لم تقف عند هذا الحد بل جعلت تضبط كل مقياس ومكيال وميزان وكل ما تُعرَّف بهِ نسبة المواد بعضها الى بعض

غلا ثمن الفحم الحجري في هذه الايام غلاءً فاحشاً فسألنا البعض تُرى لو ابدلنا الفحم الحجري بالحطب وقوداً في الآلات البخارية أكان في ذلك اقتصاد او اسراف على فرض ان ثمن طن الفحم ثمانية غرش وثمن طن الحطب (الخشب) ثلثاية غرش وهل يكون من الاقتصاد ان يوقد البترول بدل الفحم الحجري وثمن الصفيحة منهُ ٢٥ غرشاً

هذه مسائل جوهرية ولكن ليس في القطر المصري ادارة يمكن الرجوع اليها في معرفة النسبة بين هذه المواد من حيث اسعارها والحرارة التي تتولد منها

ومثل ذلك استعمال الغاز للطبخ بدل الفحم او الحطب واستعمال الكهربائية للنور بدل الغاز او البترول . فان الحكم في هذه الامور يبنى عندنا على الاختبار لاغير كأن يجد الواحد انهُ كان ينفق في الشهر مئة غرش ثمن الفحم الذي يحرقهُ في طبخ طعامهِ فصار ينفق

ستين غرشاً ثمن الغاز الذي استعملهُ بدل الفحم او يقول انهُ كان ينفق على الانارة بالغاز مئة غرش في الشهر فصار ينفق على الانارة بالكهربائية مئتي غرش لما ابدلَ الغاز بالكهربائية في اضاءة بيتهِ . ولكن يصعب عليهِ ان يقابل بين سطعان نور الغاز ونور الكهربائية

وقد تنوَّعت مصابيح البترول ومصابيح الغاز ومصابيح الكهربائية في السنين الاخيرة حتى حار الناس في اختيار افضلها واوفرها ولا شبهة ان نور بعضها اسطع من نور البعض الآخر ونفقة بعضها اقل من نفقة البعض الآخر ولكن قلَّ من يعلم نسبة بعضها الى بعض ومقدار الفرق بينها بالتدقيق . وليس في البلادِ ثقة يرجع اليهِ في ايضاح النسبة بينها بالتدقيق

ومن هذا القبيل الاختلاف بين لحم الخروف الواحد او من الثور الواحد والاختلاف بين لبن البقر ولبن المعزى ولبن الجاموس . وبين اللبن الذي حُلب منذ ساعة والذي حلب منذ بضع ساعات . وبين انواع السمادِ الكيماوي وبين الدرجات المختلفة من السماد الواحد وبين الزبدة الطبيعية والزبدة الصناعية وبين انواع الجبن المختلفة سواءٌ كانت وطنيةً او اجنبية . وقس على ذلك اموراً كثيرة من هذا القبيل

فيحسن بالحكومة المصرية والحالة هذه ان تنشئ مصلحة عملها ضبط الموازين والمقاييس والمكاييل واظهار نسبة المواد بعضها الى بعض حتى يكون الناس على بينة من امرهم في كل شيء . فتنشر هذه المصلحة لائحة لاصحاب البيوت يرشدون بها الى الاقتصاد في النفقات او الى الحصول على الفائدة الكبرى باقل ما يكون من النفقة . ومن هذه الفوائد ان الشبكة العادية التي توضع في مصباح الغاز تجعل نفقة النور الواحد نصف ما كانت . فاذا وُجد مصباحان نوراهما متساويان وكان احدهما سائباً من غير شبكة كما كانت مصابيح الشوارع في القاهرة قبل وضعت لها الشبكة والثاني لهُ شبكة عادية فنفقة النور الاول مضاعف نفقة النور الثاني اي ان الاول يحرق من الغاز في الساعة مضاعف ما يحرقهُ الثاني واذا كان مقدار الغاز الذي يحرق في الثاني مثل مقدار الغاز الذي يحرق في الاول فنور الثاني مضاعف نور الاول في سطعانهِ او ان النسبة بينهما كالنسبة بين ١٢ و ٧ . وتوجد شبكة اخرى تقل بها النفقة الى ربع ما كانت . ومنها ان الزبدة الصناعية اذا كانت موادها نقية فهي مغذية مثل الزبدة الطبيعية ولو كانت ارخص منها كثيراً . فوائد مثل هذه يجب ان تعلم ويطلع الجمهور عليها

باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب تخصيص هذا الباب فخصصناه ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان ولكنّ العهدة في ما يدرج فيه على محرريه فنحن برآء مما كتبوه ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمه ما يأتي: (١) المناظر والتحقير مشتقان من أصل واحد فمناظرك تحقرك (٢) الغرض من المناظرة الخوض الى الحقائق فاذا كان كاشف الغلاط غير عظيم كان المعترف بالغلط اعظم (٣) خير الكلام ما قلّ ودلّ فالمقالات الموافية مع الايجاز تستقر على المقبولة

ذكرى الطفولة

سلامٌ على صفو الحياة سلامُ ... فلم يبقَ الاّ ان يحل حمامُ
سلامٌ على عهد تقضى وما انقضت ... اواصر قربى بينهُ وذمامُ
تذكرتهُ ذكرى الغريب لداره ... وقد حان من دون المزار مقامُ
وما نفع المحزون ذكراهُ ما مضى ... ولكنها في النائبات قوامُ
وان اذكار الصفو صفو لاهلهِ ... وان شبت منهُ في الضلوع ضرامُ
فنعما من الدنيا بماضي نعيمها ... وابن الليالي والزمان عرامُ
لقد اخلقت ايدي الحوادث جدتي ... وقد فات لهو في الصبا وغرامُ
واصبحت كالدوح العقير لحاؤهُ ... ولكنهُ دون الثماء رمامُ

***

سلامٌ : وهل يغني المشوق سلامُ ... على زمن كالبرق حين يشامُ
فكم ليَ فيهِ من مراح ومن مَنًى ... وساعات لهو كلهنّ وسامُ
وكم طاب لي فيهِ رقاد ويقظة ... وكم لذّ لي فيهِ هوًى ومرامُ
وكم ليَ فيهِ من صحاب تألفت ... قلوبٌ حدتها السنّ فهي توّامُ
سعياً فقدناهُ فبتّ لفقدهِ ... كأنّ غدونا واخجيهِ مقامُ
وهل كان الاّ طرفة حنّ بعدها ... على القلب من هذي الحياة سآمُ
سآمٌ وهمٌّ دائبٌ ونوائبٌ ... اذا ما اتى عد عليهِ وعامُ

لقد كنت فيه احسب العيش خالداً وان قبور العالمين نيامُ
وأن ليس في الدنيا شقاء ومحنة وان ليس فيها فرقة وخصامُ
وأني لا سعيٌ عليَّ ومطلب وان ليس حلٌّ للورى وحرامُ
وان الفتى في الكون سلطان كونه وليس عليهِ في الوجود امامُ
وان ابي مالٌ وحولٌ وعزمةٌ وسيفٌ على هام الخطوب حسامُ
فاخلف حسباني الزمانُ وصرفهُ وآمال عيش في الحياة جسامُ
وأبصرتُ حولي الكون كالروض كلما انار فما للزاهرات دوامُ
والفيت ان الناس رهن مشيئةٍ تساق بها في ظلمة وتسامُ
واني لا شيءٌ واني هالك واني رغام في الثرى ورجامُ

***

جهلنا على الايام في الكون ما الذي يراد بنا من عيشنا ويرامُ
حياة على الاوهام تأتي وتنطوي تباعاً تباعاً والانام انام
لقد كان نوماً ذلك العهد وانقضى وما العمر الاَّ يقظة ومنامُ
كأني رضيع والطفولة مرضع وقد حال من دون الرضاع فطامُ
فها انا لا طيب الحياة يروقني ولا يطيّبني قينة ومدامُ
كأني ما كنت الوغيد شبابهُ ولا كنت ألهو والفؤاد غلامُ
عليك سلام الله عهدَ طفولتي لَذِكْرَاكَ يا عهد السلام سلامُ

اسكندرية زكريا ابراهيم

نفوس العظماء

(١) ثبات الغرائز (٢) تأثير الوراثة والوسط (٣) تأثير الطبيعة
(٤) تأثير الفرد على المجموع (٥) سرُّ العظمة

وجدت صروف الدهر لا شيءَ غيرها تغيّر من احوالنا فتحولُ
ولو يستطيع المرء تغيير ما بهِ لما كان منا نابهٌ وخمولُ
فكل امرئ يسعى الى الخير جهدهُ ولكنَّ مجهود الضئيل ضئيلُ
فلا تطلبنَّ من ثائر النفس هدأةً وبين حنايا الصدر منهُ صؤولُ
ولا تطلبنَّ من خامل النفس ثورةً فان نتاج العمر منهُ خمولُ

طبائع فيها ركبت وغرائز شتى جبال صعبة وسهول
فان غيرت تلك الطباعَ حوادثٌ فان الجبال الراسيات تزول
كما يفصل الزلزال ارضاً متيعةً فيجرى خضمٌ بينها ويصولُ
وان غيرت بعض النفوس صفاتها فلماء في صلد الصخور فعول

***

هي النفس مثل الوجه يُورث حسنها فاكثر ابناء القبيل شكول
وقد يذهب الحسنَ الفتى بخطيئة ولكنها طبع لديهِ دخيل
أفادتهُ اياهُ طبائع غيرهِ كما ينقل العدوى اليك عليل
كما علّم الاطفالَ ألسن قومهم يُعلّم كلٌّ ما يرى ويقول
وللوسط الموبوء عدوى تعمهُ وداء النفوس الخامدات اكول

***

وفيك من الارض التي انت ساكنٌ طبائع منها مزدرًى وجليل
ففي نفس سكان البوادي جدوبة ومأوى لوحشي الصفات وبيل
وفي نفس سكان الجبال مناعة وانفس سكان السهول سهول
من الناس ناس لا تثور طباعهم فجرهمُ طول الحياة بليل
لغيرهمِ منهم ثمارٌ شهية وظل على مر القرون ظليل
هل المرء الاّ قطعة من بلادهِ تحرّك في ارجائها وتجول
من التبت نبت الارض والماء مائها جسوم ومن تلك الجسوم عقول
وعقل الفتى من زادهِ وشرابهِ وما قد حباهُ والد وخليل
فوا أسفا للنفس نرجو صلاحها وليس الى وجه الصلاح سبيل

***

هي النفس بنت الارض وهي كأمها بغيرها ما يتّقى ويهولُ
وليس لها فيهِ اختيار وانما تعول بهِ الايام حيث تعولُ
اذا بلغت نفس العظيم جنونها يصول بسيف مصلت ويغول
بسيف من الاوهام في كل صارم لهُ كل يوم في الانام قتيل
فان عروق الناس جفت دماؤها نيا ليتها فوق التراب تسيلُ
وشر دم ما ثار سيء عروقهِ فذلك في جسم الوجود فضول

وليست حياةً ما اريقت دماؤها ولكن غباءٌ فادح وخمول
وما ظلم السفّاح قومًا بقتلهم بل الظلم ان تحيا وانت ذليل
فكم بطل احيا عصوراً كثيرةً فلا تخدع إما شكاهُ قبيل
وتكبر آثار العظيم وفعلهُ اذا ما مضى جيل عليهِ وجيل
ولكنهُ احسان لا معتمد فوا عجبًا ان جاد وهو بخيل
وكم جاهل بالامر يأتيهِ مكرهًا ويفعل ما لا ينبغي ويقول
كذلك افعال الطبيعة كلها تروع اذا شاهدتها وتهول
من الماء والترب الذي انت واطئٌ ثمارٌ وازهار لنا وبقول
ارى شجراً غضَّ النهار يظلني فلي منهُ زاد شائق ومقيل
سقاهُ شعاع الشمس ماء حياتهِ وجاد عليهِ المزن وهو همول
عظائم ما للكون فيها ارادة وفعل وما غير الزمان فعول

***

كذاك يساق المرء للمجد مكرهًا عليهِ كما تجني الخمار شمول
وليست ثمار الكرم تفعل فعلها وما الخمر الاَّ الكرم حين يحول
وما ينبغي في ذروة المجد راسخ فلن يرتوي للنابغين غليل
ولكنهُ شوقٌ اليهِ يقودهُ لهُ سائق من شجوهِ ودليل
ولكنهُ كالدوح تنمو فروعهُ وتنمو جذور في الثرى واصول
وليس عجيبًا ان يرى الناس نابغًا فيعروهمُ عما يقول ذهول
رأوا منهمُ فيهِ مشابه جمة فظنوا بان العالمين شكول
اقد صدقوا فالناس في الشكل اخوة وليس لخطب النابغين مثيل
وما ريع انسان فظل فؤادهُ جليدًا فغير الآدمي حمول

***

ارى كل ارض قام فيها نوابغ فتأثيرها عند الخطوب يزول
ارى كل قوم قام فيهم نوابغ فتأثيرهم في النابغين قليل
فلا تزهدن في مهجة طال غبنها ولا تيأسن من ان يعز ذليل
فان معاباً يمثري النفس رائعٌ بايرادها ماء العلاء كفيل

اسكندرية عبد اللطيف النشار

باب التقريظ والانتقاد

نبذة تاريخية

في اصل الطائفة المارونية واستقلالها بجبل لبنان

وضع هذه النبذة بل الكتاب الجليل سيادة المطران يوسف دريان رئيس اساقفة طرسوس شرعًا والنائب البطريركي الماروني في القطر المصري وظيفةً

طالعنا اجانبًا كبيرًا من هذا الكتاب فوجدنا ان كلام المؤلف على اصل الطائفة المارونية يقصد به تارةً اصلها كطائفة دينية من الطوائف المسيحية وتارةً اصلها كامةٍ من حيث وطنها الاصلي . والامر الاول لم نرَ حجج المؤلف فيهِ اقوى من حجج مخالفيهِ ولاسيما احدهم المرحوم المطران يوسف داود السرياني على ما في كتابهِ جامع الحجج الراهنة المطبوع منذ بضع سنوات في القطر المصري . وسواء كانت هذه اقوى او تلك فليس هذا الامر هو الغرض الذي يرمي اليهِ المؤلف بالذات بل هو يرمي الى الغرض الثاني وهو ان اصل الموارنة بل اكثر سكان لبنان من الفينيقيين سكان صور وصيداء وبيروت وجبيل ولبنان الفينيقي وانهم كانوا غالبًا مستقلين في جبلهم او كما قال « لهذا يحق لنا الاستنتاج بكل صواب ان اصحاب جبل لبنان الاصليين انما هم سلالة الفينيقيين اصحاب المالك المشهورة المستقلة من قديم الدهر وقد استمروا على الدوام يتزعون الى هذا الاستقلال في كل عصر بحيث لم يخضعوا لمغتصبيهم من الفاتحين الغزاة الاَّ مكرهين والى حد محدود فقط فهم اذًا على قلتهم كالعناصر السلافية في مواطنها »

وادلتهُ على ان سكان لبنان من سلالة الفينيقيين قوية وحبذا لو امكن تعزيزها بادلة انثربولوجية مبنية على قياس الجماجم والعظام لانهُ يظهر لنا من شكل جماجم السكان في شمال لبنان ان بينهم وبين الحثيين القدماء مشابهة كبيرة . ولا يخفى ان الحثيين اقاموا زمانًا في جوار حماه وحمص وان مدينتهم قادش التي حاربهم فيها رعمسيس الثاني كانت قريبة من مخرج العاصي

اما استقلال لبنان وهو الامر المهم بالذات سواء كان سكانهُ من الموارنة او من غيرهم

فقد استشهد عليهِ بما جاء في تاريخ بروكوبيوس المؤرخ السوري الذي نشأ في القرن السادس المسيحي فقد ذكر هذا المؤرخ انهُ كان في لبنان قائدان عظيمان ومعهما جنود بواسل من اللبنانيين وانهُ لما هجم الفرس على انطاكية بادر فرسان لبنان لندفاع عنها . وان قائد عساكر الروم طلب من هذين القائدين في وقت آخر ان ينضما الى جنودهِ لمحاربة الفرس فابيا مخافة ان يبعدا عن لبنان فيدهم العرب سورية وفينيقية و ينهبوها في غياب حاميتهِ

ولما فتح العرب سورية لم يستولوا على لبنان وقد استشهد المؤلف على ذلك بمؤرخين من ابناء القرن الثامن المسيحي احدهما كتب في القسطنطينية وهو ثيوفانس صاحب حوادث السنين والاخر عربي وهو البلاذري صاحب فتوح البلدان . اما كلام ثيوفانس فمفادهُ ان اهالي لبنان ضايقوا العرب اشد مضايقة حتى اضطرَّ الخليفة معاوية ان يعقد صلحاً غير موافق لهُ مع قسطنطين ملك القسطنطينية . ثم اضطرَّ الخليفة عبد الملك بن مروان بسببهم ان يجدد هذا الصلح بشروط اثم مع يستنيانوس ابن قسطنطين . واشار البلاذري الى ذلك فقال « ان عبد الملك اضطرَّ ان صالحهم على الف دينار في كل جمعة وصالح طاغية الروم (اي ملكهم) على مال يؤديهِ اليهِ لشغلهِ عن محاربتهِ وتخوفهِ ان يخرج الى الشام فيغلب عليهِ واقتدى في صلحهِ بمعاوية حين شغل بحرب اهل العراق فانهُ صالحهم على ان يؤدي لهم مالاً »

ولما جاء الافرنج الى سورية في الحملات الصليبية انحصر الموارنة لهم حتى ان الملك لويس التاسع ملك فرنسا كتب اليهم من مدينة عكاء يقول ما ترجمتهُ

« لويس ملك فرنسا الى امير الموارنة بجبل لبنان والى بطريرك واساقفة الطائفة المذكورة

« ان قلبنا امتلأ فرحاً لما رأينا ولدكم سمعان قد اتى مع وفد الفاً حاملاً الينا محاسنكم الحبية ومقدماً لنا الهدايا الوافرة : وبالحقيقة ان محبتنا الخالصة التي ابتدأنا ان نستشعرها نحو الامة المارونية ايام حلولنا في قبرس حيث هم مقيمون قد تضعفت اليوم بزيادة ونحن موقنون ان هذه الامة التي قامت تحت اسم القديس مارون هي قسم من الامة الفرنسية لان محبتها للفرنسيين اشبه بمحبة الفرنسيين بعضهم لبعض . وعليهِ فيجب من قبيل العدل ان تتمتعوا انتم وجميع الموارنة بنفس الحماية التي يتمتع بها الفرنسيون من جانب وان تقبلوا في الوظائف كما هم يقبلون : ولذلك فانا نحثك ايها الامير الرفيع الشأن ان تسعى كل السعي في ما يعود على اهل لبنان بالسعادة وان تعنى باقامة اشراف من اكثر الناس اهلية لديك كما هو جارٍ في فرنسا . وأنتم ايها السيد البطريرك والسادة الاساقفة وجمهور الاكليروس وعامة

الشعب الماروني وامير كم العظيم قد رأينا بكامل السرور تعلقكم الثابت بالدين الكاثوليكي واحترامكم لرئيس الكنيسة خليفة القديس بطرس بروميه لتحثكم على المحافظة على هذا الاحترام وان تبقوا على الدوام غير متزعزعين بهذا الايمان

« اما نحن وجميع من يخلفوننا على عرش فرنسا فنعد بانا نوليكم انتم وجميع شعبكم حمايتنا الخاصة كما نوليها للفرنسيين بعينهم ونسعى في كل وقت في ما يكون آيلاً لسعادتكم » اه

والذي يطالع هذه النبذة وهو لا يعرف لبنان وسكانهُ قد يقوم في نفسهِ ان ليس فيهِ غير الموارنة او لا شأن فيهِ لغيرهم مع انا اذا حسبنا عدد سكانهِ كلهم ٤٠٠٠٠٠٠ فالموارنة منهم نحو ٢٤٠٠٠٠٠ وسائر السكان ١٦٠٠٠٠٠ . ومعلوم ان ثلاثة اثمان السكان ليست مما يقضى عنهُ . وحبذا الزمن الذي نكتب فيهِ تاريخ بلادنا غير ملتفتين الى ما بينهم من الفوارق المذهبية كما لا نلتفت الآن الى ما بينهم من الفوارق الطبيعية في طول القامة ولون البشرة وشكل الانف . ونرجح ان سيادة المؤلف يوافقنا على ان التقسيم المذهبي في لبنان هو الذي حرمهُ من ان يستفيد من قانونهِ الحديث الذي اشتراهُ بدم رجالهِ سنة ستين

كتاب المساكين

مصطفى افندي صادق الرافعي منشئ هذا الكتاب شاعر في نظمهِ وفي نثرهِ يميل الى الخيال ومبالغات الشعراء حتى في ذكر الحقائق . افتتح ديباجة الكتاب بحديث « اللهم احيني مسكيناً وامتني مسكيناً واحشرني في زمرة المساكين » وقال في فاتحة الكلام على غرضهِ من كتابهِ انهُ كتب « عن الفقر وما هو من باب الفقر لا للهو ولكن للصبر عليهِ ولا من اجل البحث فيهِ ولكن للعزاء عنهُ » فاثبت في الحديث النبوي انهُ من الحسنات التي تبتغى وتطلب من الله وفي كلامهِ هو انهُ من البلايا التي يحسن الصبر عليها والعزاء عنها . ولقد احسن في قولهِ بعيد هذا انهُ ادار « الكلام في كل ذلك على الوجه الذي يراهُ الشاعر في ضحك الطبيعة ورقتها »

وبعدُ فقد جعل مدار كلامهِ على رجل قال ان اسمهُ الشيخ علي وانهُ من قرية منيت جناح من اعمال مركز دسوق احد مراكز مديرية الغربية فوصفهُ ووصف اطوارهُ وصفاً شعرياً فلسفياً وهذا شأنهُ في كل ما وجَّه اليهِ قلمهُ فقد وصف النعم بقولهِ « النعم المتفقة التي يأتي بها المال حين يأتيك بالجاه واصحاب الجاه ومن يريدك لمالك وجاهك . واعوذ بالله من النفاق ومن نفاق النعمة خاصةً فينا في ذلك اذا هي عليك و بنا في متاع اذا هي الشيء »

اما النعمة الحقيقية فوصفها بقوله « وهي في النعمة خير من الكفاف حاضراً ومن الصحة فارهةً ومن قرة العين وضحك السن واستطلاق الوجه وان يكون القلب في حجاب من نور السماء لا تهتك عنهُ رذائل النفس ولا يعلق بهِ غبار الارض ولا يغشاهُ ظلام الحياة . ولا يزال هذا القلب في نضرته وصفائهِ كأنهُ سعادة محبوءة في غيب الله لم يخلق بعدُ من خبأت لهُ »

لكن الشيخ الذي وصفهُ او فرضهُ ليس بالمثل الاعلى في بعض ما نسبهُ اليهِ ولا بالاوسط وقد يكون الاسفل فقد قال انهُ « اجهل الناس في الدنيا واجهل الناس بالدنيا كأنهُ من هذه الجهة مسلوب العقل وانت اذا سطعت لهُ باجوهرة انكريتة النادرة فلا يعدو ان يراها حصاة جميلة تألق »

وختم الكتاب برائية عصماء اختار منها رائية ابي فراس قال فيها

طريدة بؤس ملَّ من بؤسها الصبر ... وطالت على الغبراء ايامها الغبرُ
وكانت كما شاءت وشاء جمالها ... كما اشتهت العليا كما وصف الشعرُ
تلألأُ في صدر المكارم درَّةً ... يحيط بها من عقد انسابها درُّ
تقاسمت الحسن الالهيَّ وانثنى ... بقاسمها فالامر بينهما امرُ
فللشمس منها طلعة الحسن مشرقاً ... وفيها من الشمس التوقد والجمرُ
وللزهر منها نعمة الحسن عاطراً ... وفيها ذبول مثل ذبل الزهرُ
وللظبي منها مقلتاها وجيدها ... وفيها من الظبي التلفُّت والذعرُ

الى ان قال في وصف هذه الحرب

وما الحرب الاَّ دبية دموية ... اذا دنست روح الورى فهيَ الطهرُ
وما الحرب الاَّ غضبة الله لامست ... مخازيَ هذا الدهر فانفجر الدهرُ
ففي كل نفس غصة ما تسيغها ... وفي كل قلب كسرة ما لها جبرُ
وما لوت الاسياف في الارض عروةً ... من البغض الاَّ والورس لها زرُّ
وكم قيل انسانية ومحبة ... وعلم وتمدين واشباهها الكثرُ

والكتاب كلهُ على هذا النسق تطالعهُ كأنك تطالع رسائل المعري او مناظرات الجاحظ او تعاليم سقراط او حكم كنفوشيوس . فيحسن ان يكون كتاب مطالعة في كل المدارس حيث يبتغى فصيح اللغة والتمرس بالانشاء البليغ

مثال الشرق والغرب

كتاب جمع ما دار على ألسنة الفلاسفة الحكماء من مشاهير الشرقيين والغربيين الفهُ حضرة يوسف افندي توما البستاني صاحب مكتبة العرب في القاهرة وجمع فيهِ كثيراً من اقوال الحكماء في كل عصر وما جرى من تلك الاقوال مجرى الامثال في كل موضوع كالعلم والفضل والعمل والكسل والصبر والضيق والمعروف والاحسان والكرم والبخل الى غير ذلك . وهاك ما جاء فيهِ تحت « كتمان السر » :

قال علي بن أبي طالب : سرك اسيرك فاذا تكلمت بهِ صرت اسيرهُ

وقال الشاعر

اسيرك سرك ان صنتهُ وانت اسير لهُ ان ظهر

وقال آخر

اذا ضاق صدر المرء عن سر نفسهِ فصدر الذي يستودع السر اضيقُ

وقال سليمان الحكيم : من يحفظ فمهُ ولسانه يحفظ من الضيقات نفسهُ

وقال عمر بن الخطاب : من كتم سرهُ كان الخيار في يدهِ

وقال بولانو : اذا كشفت سرك لثلاثة عرفهُ عشرة

وقال الشاعر

كل علم ليس في القرطاس ضاع كل سر جاوز الاثنين شاع

ومن امثال الانكليز : من بحت لهُ بسرك صرت لهُ اسيراً

ومن امثال اليابانيين : لا تبح باسرارك لخادمك

وقال شكسبير : اذا كنا في نعمة فهي لا تدوم الاَّ اذا كتمناها

وقال عمرو بن العاص : اذا افشيت سري الى صديقي كان اللوم عليَّ لا عليهِ لاني انا كنت اولى بصيانته منهُ

وقيل ايضاً : الكلمة أسيرة في وثاق الرجل فاذا تكلم بها صار في وثاقها

وقال حكيم : كما انهُ لا خير في آنية لا تمسك ما فيها كذلك لا خير في صدر لا يكتم سرهُ . وقالت العرب : اضعف الناس من ضعف عن كتمان سرهِ

وقالوا : حفظك لسرك ايجب من حفظ غيرك لهُ

وقالوا ايضاً : من كتم سرهُ بلغ مرادهُ

اوزان الشعر العربي

The Metres of Arabic Poetry.
By W. H. T. Gairdner.

رسالة انكليزية صغيرة في اوزان الشعر العربي وضعها جناب القانون جردنر اللاهوتي والعالم المستشرق لكي يسهل على ابناء اللغة الانكليزية فهم عم العروض فسر كل كلماته الاصطلاحية كبحر وصدر وعجز وضرب وقافية وتفعيل وتقطيع وخبن وطي وقبض . ولم يكتف بذلك بل وضع لبعضها اشارات فرمز الى السبب الخفيف بخط افقي والى السبب الثقيل بقوسين والى الوتد المجموع بخط وقوس والى الوتد المفروق بقوس بخط والى الفاصلة الصغرى بخط فقوسين والى الفاصلة الكبرى بخطين ومن ثم سهل عليه ابدال كل التفاعيل بهذه الرموز . ومثّل على بعض الابحر بابيات بعضها قديم وبعضها من نظمه او من نظم سليم الندي عبد الاحد . ومن الابيات التي نظمها المؤلف قولهُ

تذكرت ساعات الليالي التي فيها ... هجعت لنفسي في سكون لياليها
وكم من هزيع مظلم قد سهرتهُ ... تحادث نفسي نفسها وتناجيها
تراجع لوحًا لا يمس ولا يرى ... ولكن بهِ خطّت تواريخ ماضيها

وقولهُ للمستشرق الشهير غولدزهر وزوجتهِ ولهما في رثائهما

وصاحبتي ها بالطبع كاسمها ... من صاغ صوغها سماهما ذهبا
بل صاحبتي وكانا في حضورهما ... نوري ومذ ذهبا فالنور قد ذهبا
نزلت بيتهما من سفرة تعبًا ... فاظهرا كرمًا لي يخجلُ العربا
كانهُ ابن يعود البيت رحّب بي ... وانني فيهما امًّا ارى وابا
وكم وكم ليلة لما رأيت سنا ... مصباحهِ في الدجى يممتهُ طلبا
والدار كم جئتُ استجلي معارفها ... والآن قد اظلمت والنور قد هربا

وصدر البيت الرابع مرتبك ولعل اصلهُ « كانني » ابن يعود البيت رحّب بي . ورجل اجنبي ينظم الشعر العربي على هذا النمط حقيق ان يعد بين الشعراء الثابغين

الدليل المصري لسنة ١٩١٧

كان هذا الدليل يطبع بالفرنسوية فقط وقد طبع الآن بالعربية في كتاب كبير فيهِ الف صفحة حافلة بالفوائد الكثيرة عن البيت السلطاني وتاريخ مصر من اول عهدها الى

آخر سنة ١٩١٦ . وقوانين الحكومة المصرية ودواوينها وموظفيها وحال الزراعة والصناعة في القطر المصري والآثار المصرية وكل ما يتعلق بالتعليم وما اشبه مما يطول شرحهُ . ويلي ذلك الحرف والصناعات في العاصمة واسماء المشتغلين بها مرتبة على حروف المعجم كالمحامين والخبراء والاطباء والمهندسين والخياطين والخاتمين والساكين والخبازين والتجار على تنوع اشغالهم

ويشمل الدليل كل محافظات القطر ومديرياتهِ وبلاد السودان ايضاً فقلما يكون موظف من موظفي الحكومة او وجيه من وجهاء القطر او صانع او تاجر ولا تجد اسمهُ فيهِ

صحيفة مدرسة التجارة المتوسطة

كنا نسمع ان المتخرجين في مدارس التجارة قلما يجدون عملاً يعملون بهِ لكننا رأينا في هذه الصحيفة ما ينفي ذلك فقد ذكرت اسماء التلامذة الذين تعلموا فيها والاعمال التي دعوا اليها والشهادات التي شهدها فيهم مستخدموهم وهي حسنة جداً تشهد لهم بالاستقامة والجد والاجتهاد واجادة الاعمال . بعضها بالعربية وبعضها بالانكليزية او الفرنسوية حسب المحل الذي يكون فيهِ المتخرج

وفي هذه الصحيفة عدا ذلك مقالات كثيرة الفائدة في اهم المواضيع الاقتصادية كتثمير الاموال واقتناء الثروة والصناعة المصرية والبورصة وبعض عملياتها والقوة المالية وطرق الاعلان والتربية والتعليم والمنافسة . ويلي ذلك اسماء خريجي سنة ١٩١٥ والاماكن التي توظفوا فيها وهم ٦٣ وخريجي سنة ١٩١٦ والاماكن التي توظفوا فيها وهم ٦٨

تاريخ الاتراك العثمانيين

نقلهُ عن الانكليزية حضرة الاديب حسين افندي لبيب المدرس في مدرسة القضاء الشرعي وصف فيهِ الادارة العثمانية الى آخر عهد السلطان عبد الحميد ووصف استانبول والسراي السلطانية القديمة ويبحث في آداب اللغة التركية وخص فصلاً بالرجل المريض وهو لقب تركيا عند اهل السياسة وفصلاً بالانقلاب العثماني . وختمهُ بمختارات من الخطاب الذي رفعهُ المرحوم مصطفى فاضل باشا الى السلطان عبد العزيز . واعتمد في النقل على تاريخ تركيا لستانلي لين پول وتاريخ الشعر العثماني للاستاذ جب ودائرة المعارف البريطانية وجريدة التيمس . ومعهُ خريطة تاريخية للاملاك العثمانية في غرة القرن التاسع عشر

Alexandria :
How to see it.

هذا اسم دليل لمدينة الاسكندرية اصدرهُ حضرة اخواجه اسكندر خوري وزينهُ بخارطة واحدى وعشرين صورة . وفيهِ كلام عن تاريخ الاسكندرية قديماً وحديثاً وآثارها القديمة والحديثة ومكتبة البلدية ومصلحة البوستة وكنائسها وانديتها وسائر ما يتعلق بها

الفروق

او خلاصة القانون اصولاً وفروقاً

كتاب من قلم حضرة الاديب مراد بك فرج المحامي قال مبيناً الغرض من تأليفهِ :

« وبعدُ فقد اتجه فكري الى اصول المسائل القانونية ابحث فيها وفيما يكون لها من الاقسام ثم فيما يكون لتقسيمها من الفروق والمزايا بين بعضها وبعض الى ان توفر لديَّ ما توفر مما صلح ان يكون كتاباً يطبع ليفيد . وقد سافني العمل الى ابحث ايضاً في المتشابهات من الامور وبيان ما بين بعضها وبعض من اوجه الشبه كما اني وضعت كثيراً من التعريفات لكثير من الاشياء بقدر ما رأيت من اللزوم واوردت ما اوردت من احكام القضاء فرنسية ومختلطة واهلية تعزيزاً للشيء بقدر الحاجة والامكان . فالقارئ يقف على كثير من صغير موجز مقرب للبعيد جامع للشتات مفرق بين المتشابهات مميز بين المتنوعات »

العلاج الجراحي

الجزء الرابع

اشرنا فيما مضى الى الاجزاء الاولى التي صدرت من هذا الكتاب النفيس وهو من تأليف الدكتورين وليم روز والبرت كارلس وقد عرَّبهُ الدكتور محمد عبد الحميد بك طبيب مستشفى قليوب . ويتناول هذا الجزء الامراض الجراحية في الجلد وآفات العضلات والاوتار والاكياس الزلالية والتشوهات والعيوب وآفات العظام

والمترجم من الذين تفضلوا على العربية بنقل كثير من الكتب الطبية الحديثة اليها

رواية الحاكم بامر الله

هي رواية عربية حدثت وقائعها في مصر في اوائل القرن الرابع للهجرة في عهد الفاطميين الفها حضرة الاديب ابراهيم افندي رمزي المترجم الفني في وزارة الزراعة وقد مثلت في الاوبرا السلطانية وطبعت حديثاً

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ أوّل انشاء المقتطف ووعدنا أن نجيب فيه مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف. ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائله باسمه وألقابه ومحل اقامته امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل النصريح باسمه عند ادراج سؤاله فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمه (٣) اذا لم يدرج السؤال بعد شهرين من ارساله الينا فليكرّره سائله فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناه لسبب كاف

(١) تعلّم موسى الكليم

مصر. امين افندي شحاته. قرأت مرةً في كتاب او مجلة ان المصريين القدماء كانوا يعقدون امتحانات عديدة مختلفة للذين يريدون الالتحاق بسلك الكهنوت وان سيدنا موسى عليهِ السلام امتُحن معهم في تلك الامتحانات ولكنهُ لم ينجح في بعضها. ويقال انهُ من ذلك الوقت قام بالعداء للمصريين. فهل لحضراتكم ان تدلوني على هذا الكتاب او تشرحوا لي هذه المسألة

ج. ان ما ذكر عن موسى الكليم في التوراة اي في العهد القديم والعهد الجديد لا اشارة فيهِ الى هذه القصة. وانما يقال في سفر اعمال الرسل ان موسى تهذب بكل حكمة المصريين. اما كتب اليهود الاخرى كتاريخ فيلون وتاريخ يوسيفوس وردهُ على ابيون وكتاب الترجوم في تفسير سفر الخروج ففيها كلها كلام كثير عن موسى ولكنها كلها كتبت بعد عهدهِ بمئات من السنين ونحن لا نثق بصحة خبر يكتب بعد حدوث حادثة بشهرين

(٢) مسائل كلاحاجي

الاسكندرية. احمد افندي بهاء الدين الراكشي. وجدت في مجموعة الاسئلة الحديثة في الحساب فكاهات تمرّ عليَّ حلها مثل قولهِ المطلوب طرح ٤٥ من ٤٥ بحيث يكون الباقي ٤٥ وقولهِ المطلوب ايجاد العدد ... من ست تسعات. وقولهِ المطلوب طرح وجمع الاعداد من ١ الى ٩ بحيث يكون الناتج ... على شرط الا تستعمل ارقام الا مرة واحدة

ج. اسألوا واضع هذه الاسئلة عن مرادهِ بها. ولا ندري لماذا يضاع وقت التلميذ في الحاجي مثل هذه ولعلك لو سألت التلميذ الذي يحلها عن كم اردب من الفول يجب أن يشتري ليوفّر نوفة سبعة ثيران في سبعة اشهر اذا علق للثور منها اربعة افداح من الفول المدشوش يوم العمل وقدحين يوم البطالة وكان يبطل العمل يوماً من كل سبعة ايام لعجز عن معرفة الجواب مع انهُ ضروري لكل فلاح

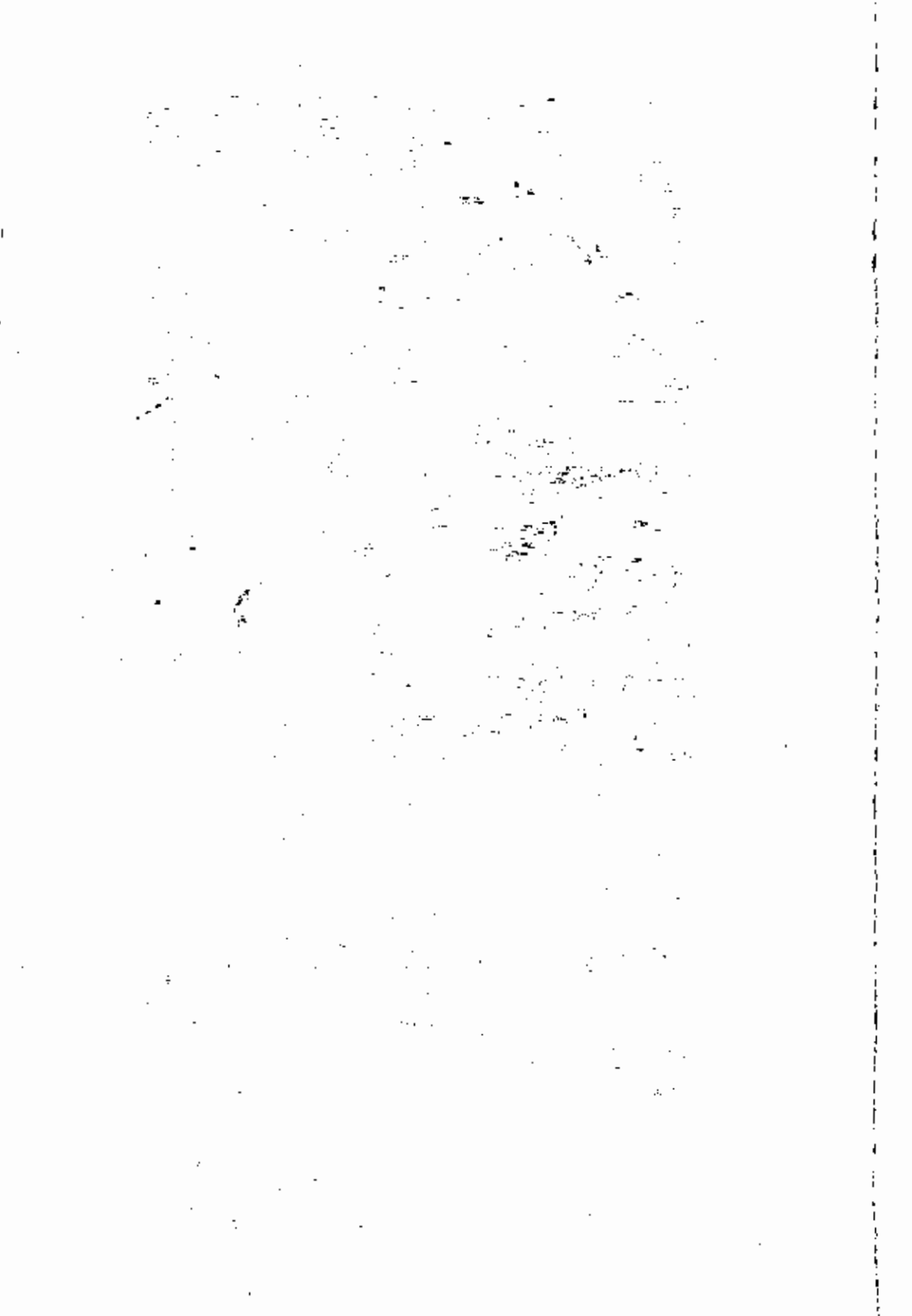

اشكال الغيم

مقتطف يوليو ١٩١٧

امام الصفحة ٩٣

(٣) اشكال الغيوم

الجرايح . الياس افندي جرجس .

لماذا نرى الغيوم على اشكال مختلفة وذات صور هندسية جميلة

ج . الغيوم مؤلفة من ذرات صغيرة من بخار الماء طافية في الهواء وتختلف اشكالها باختلاف مقدارها ولطافتها وكثافتها واختلاف مجاري الرياح التي تحمل اليها . والمقدار يتغير كثيراً حسب البلاد وما فيها من مجاميع المياه واختلاف التبخر باختلاف الحر . واللطافة والكثافة تختلفان باختلاف الحر والبرد ايضاً والارتفاع الذي تبلغ الغيوم اليه . ومجاري الرياح تختلف حسب طبيعة البلدان وساعات النهار واختلاف الحر والبرد . ولما كانت هذه العوامل كثيرة جداً متباينة فنتائجها مختلفة ولذلك تختلف الغيوم بحسبها ولا تجد غيمتين متماثلتين تماماً في كل شيء ومع ذلك يسهل قسمة كل اشكال الغيم الى ستة اشكال ثلاثة منها اصلية وثلاثة فرعية او مركبة من الاشكال الاصلية كما ترون في الصورة المقابلة . فالشكل الاول يسمى عند العلماء باسم سرّس ولعلهُ المسمّى في العربية باسم المخرور وهو خيوط طويلة دقيقة يكون ارفع سائر الغيوم وتراهُ في الصورة وفيهِ صورة طائر واحد وهو مؤلف من ابر جليد عائمة في الهواء على ما يظن كما قرأتم في مباحثة ذرة الماء في الجزء الماضي من المقتطف . والثاني اكومولوس (الركام) وهذا يتكون في النهار ويزول في الليل ولذلك يسمونهُ غيم النهار وكثيراً ما يظهر معترضاً في نواحي الجو كأنهُ جبال شاهقة وهو اوطأ من السرّس واكثف منهُ وفيهِ اربعة طيور في الصورة . والثالث استراتس (الصفيحة) ويسمّى غيم الليل لانهُ يظهر مساء ويتقشع صباحاً في الغالب وهو اوطأ الغيوم وينزل احياناً الى سطح الارض ويكون منبسطاً في الجو صفائح ومن ذلك اسمهُ وفيهِ ستة اطيار في الصورة

والفرعية او المركبة ثلاثة ايضاً اولها السرس كومولوس (لعلهُ الاغر) وهو قطع غيوم مستديرة بعضها متدانٍ من بعض ويشبه جزات الصوف في المنظر وفيهِ في الصورة طائران . وثانيها السرستراس وهو الغيوم الريشية والظاهر انهُ يتركب من ترتيب الياف السرّس في طبقات متوازية وفيهِ ثلاثة اطيار في الصورة . وثالثها الكومولستراتس وهو الغيوم الراعدة ويظهر جلياً عند حدوث الرعد وفيهِ خمسة اطيار في الصورة وقد يطلق عليهِ اسم النبوس

(٤) اختلاف ضوء القمر

ومنهُ . لماذا نرى ضوء القمر يختلف في الفصول الاربعة

ج . اذا كان المراد لماذا نرى القمر هلالاً مرة ثم يتسع السطح المنير منهُ الى ان

يتكامل بعد نحو اربعة عشر يوماً ويصير بدراً فالجواب ان القمر يدور حول الارض دورة كاملة كل شهر قمري ونورهُ مستمد من نور الشمس دوجه واحد من وجهيهِ يتجه الى الارض دائماً اي اننا نرى نصفهُ المواجه لنا ولا نرى النصف الآخر مطلقاً فاذا ظهر في الافق الشرقي قبيل غياب الشمس نراهُ بدراً اي نرى الوجه الواقع عليهِ نور الشمس كلهُ . ولكن اذا كان القمر في سمت الراس عند مغيب الشمس فوجههُ الواقع عليهِ نور الشمس يكون متجهاً الى الغرب فيظهر لنا نصفهُ الاسفل فقط اي نرى ربع القمر منيراً . واذا كان القمر فوق الافق الغربي حين مغيب الشمس فلا نرى وجههُ المنير او نرى منهُ حرفاً صغيراً وهو الهلال . ويسهل عليكم اثبات ذلك بهذا الامتحان خذوا برتقالة وانزعوا نصف قشرتها فيصير نصفها ابيض وهو الذي نزع قشرهُ وبقي النصف الآخر مخضراً او برتقالي حسب نضج البرتقالة وانتفوا الى الجهة الشرقية واسكوا البرتقالة امام عينكم على طول يدكم ووجهوا نصفها المقشور الى الغرب وافرضوا ان الشمس هناك وقد وقعت اشعتها على البرتقالة فانكم ترون كل الوجه الابيض فتكون بمثابة القمر وهو بدر ثم مدوا يدكم بالبرتقالة الى فوق رأسكم موجهين وجهها الابيض الى الغرب وانظروا فترون نصف هذا الوجه . ثم مدوا بها يدكم الى الغرب ووجهها المقشور الى الغرب فلا ترون منها الاَّ اوجه غير المقشور ولكن اذا فرض ان الشمس انخفضت قليلاً عن الافق ظهر لكم طرف نصفها الابيض فرأيتموهُ كالهلال . ويسهل تصور بقية اوجه القمر في الشهر القمري لانها بين الهلال والبدر وبين البدر والهلال التالي . ويبقى البدر بدراً الليل كلهُ لان الارض تدور بنا الليل كلهُ والقمر مواجه لنا ولا يختلف موقعهُ من ليلة الى اخرى الاَّ قليلاً بدورانهِ حول الارض . وما يقال عن البدر يقال عن الهلال وغيره من اوجه القمر

(٥) ماء النيل وماء الطلبات

ومنهُ . اي الماءين افيد للصحة ماء النيل او ماء الطلبات وما السبب في ان الطعام الذي يطبخ بماء الطلبات لا ينضج حالاً ولا سيما اذا كان من البقول

ج . ماء النيل جيد جداً اذا تُرشح وخلا من الشوائب ولا سيما اذا اخذ من مكان بعيد عن منازل السكان . وماء الطلبات جيد ايضاً اذا لم يكن عميقاً كثير الاملاح . اما الماء الذي لا ينضج فيهِ الطعام المطبوخ فيكون فيهِ بعض المواد الكبريتية ومعالجتهُ لازالة هذه المادة الخاصة منهُ صعبة والاسهل ابدالهُ بماء مرشح من النيل او من ترعة كبيرة جارية

(٦) احرار الشمس قرب الافق

ومنهُ . لماذا تحمر الشمس عند غروبها وشروقها وهل للجبال والرمال تأثير في ذلك

ج · حينما تكون الشمس عند الافق الشرقي او الغربي تصل اشعة نورها الينا بعد ان تمر في طبقة من الهواء اسمك من الطبقة التي تمر فيها حينما تكون في سمت الراس · والبخار الذي في الهواء والغبار الذي فيه يمتصان كثيراً من اشعة الشمس ويبقى منها الاشعة الحمراء فتظهر بها الشمس حمراء ولكن اذا كان الهواء قليل البخار والغبار كما في الصباح فلا يمتص كثيراً من اشعة الشمس فلا تظهر حينئذ حمراء او شديدة الاحمرار · والجبال والرمال تؤثر في ان الجبال تواري الشمس عند اولى اشراقها فلا تظهر الا بعد ما ترتفع عن الافق فتظهر حينئذ مشرقة لانها تكون قد ارتفعت عن الافق والرمال تكون منبسطة فتظهر الشمس قرصها عند شروقها وغروبها قريبة من الافق فيحمر لونها بامتصاص اشعتها كما تقدم فتأثيرهما في ان الجبال تحجب الشمس وهي عند الافق والرمال لا تحجبها

(٧) العقاقير الطبية

ومنهُ · هل صحيح ان المواد الطبية تستخرج من النباتات والحشائش وان كان الامر كذلك فلماذا اختصت بها البلاد الاجنبية

ج · كان اكثرها يستخرج من النباتات والحشائش اما الآن فصار الكثير منها يستخرج من غيرها · والبلدان التي تكثر فيها الجبال والسهول والاودية ويقع فيها المطر ولتغير الفصول تكثر نباتاتها وتتنوع فلا عجب اذا وجد فيها اكثر الحشائش الطبية واما البلاد التي هي سهل فسيح يروى بماء نهر كالقطر المصري فقلما يعيش فيه غير ما يزرع زرعاً وقلما يهتم الناس بزرع النباتات الطبية لان مقطوعيتها قليلة بل يهتمون بزرع ما كانت مقطوعيتهُ كثيرة كالقمح والذرة والقطن · ومع ذلك لا يخلو القطر المصري من بعض النباتات الطبية الرائجة كالحنظل والسنمونيا

(٨) الختان الملائكي

ومنهُ · ما قولكم في الختان الملائكي فان لي صديقاً اخبرني بان لهُ ابناً ختن صباح احد الايام فكيف تعللون ذلك

ج · قد يولد بعض الاطفال والجلدة قصيرة جداً كانهم مختونون فيزعم اهلهم ان الملائكة ختنتهم

(٩) معنى داماد

ملوي · زكي افندي ناشد سركيس · ما معنى كلمة داماد التي تذكر احياناً قبل اسماء بعض الباشوات الاتراك

ج · معناها الصهر اي الذي يتزوج ابنة السلطان او اخته

(١٠) حرب نورديين

ومنهُ · لماذا سميت الحرب التي قامت بين احفاد الملك ادوارد الثالث ملك انكلترا بحرب الورديتين

ج · لان اشياع دوق لنكستر كان

شعارهم وردة حمراء والشياع دوق بورك كان شعارهم وردة بيضاء وكانت الحرب بينهم

(١١) التوريث عند الانكليز

بني سويف - الخواجه نصري حبيب

نرجو افادتنا عن حقيقة التوريث عند الانكليز فيما يختص بالولد الاكبر هل هو الوريث الوحيد لما يخلفهُ والدهُ من المال والعقار دون اخوته كما يقول البعض ام لهُ حق الاختصاص بالالقاب فقط وعليهِ ان يقتسم المال مع اخوتهِ واخواتهِ

ج · اكبر الابناء هو الوريث الوحيد لعقار المورّث اذا لم يوصِ بغير ذلك وهو يحجب اخوتهُ واخواتهِ واذا توفي قبل وفاة مورثهِ فابنهُ الاكبر يحجب عمومهُ وعماتهِ واما المنقولات فتقسم بين الورثة على اسلوب خاص · والغالب ان الانكليز يوصون قبل موتهم ويعدّلون وصيتهم من وقت الى آخر فيرث الورثة او الموصى لهم بموجبها

(١٢) الخمر والتبغ

مصر· عبد الحليم افندي الياس نصير ·

كيف يقال ان شرب الخمر والتدخين مضران ونحن نرى الاوربيين الذين فاقوا تمدينا يدمنونهما فهل تختلف فوائد الشيء حسب الجو كما يُزعم

ج · لا شبهة في ان شرب المسكرات وتدخين التبغ مضران ولو اختلف مقدار الضرر باختلاف الاشخاص فقد يكون قليلاً في البعض لا يشعر بهِ وقد يكون كثيراً في البعض الآخر · وتعوّد الاوربيين عليها في التمدن لا يتقي ضرر السكر والتدخين لان التمدن اسبابٌ ومقومات كثيرة فاذا انتقض واحد منها لا تنتقض كلها · ونميل الى المسكرات اشد في البلاد الحارة منهُ في الباردة

(١٣) آثار الوحام

ومنهُ · يقال ان الحامل اذا توحمت اي اذا اشتهت شيئاً ولم تنلهُ ظهرت سمة طفلها علامة يقرب شكلها من شكل الشيء الذي اشتهتهُ ولم تنلهُ فهل ذلك صحيح وما سببهُ

ج · قلنا يخلو جسم انسان من آثار مثل هذه من انواع الشامات والخيلان وما اشبه · وبعد الولادة يعللها الامهات وصواحبهنَّ التعليل الذي ذكرتموهُ · ولا يصعب على المرء ان يرى شامة كبيرة فيقول انها تشبه حبة عنب اسود او حبة بن وان يرى مشجة حمراء طولها عشرة سنتمترات مثلاً وعرضها ثلاثة فيقول انها تشبه سمكة او حزة بطيخ فتقول لهُ الوالدة انها اشتهت ذلك الشيء وهي لتوحمٍ ولم تنلهُ لاسيما وان هذا الاعتقاد شائع عندنا

(١٤) طعام يتصبّب الجسم كلهُ

ومنهُ · هل فكّروا في اختراع طعام يستهلك كلهُ في الجسم ولا يفرز منهُ شيء وهل ذلك ممكن

ج - بلغنا قبلما رأينا سوءالكم ان احد معارفنا بقي مرة نحو شهر من الزمان لا يتغوط كأن جسمه كان يمتص كل الطعام الذي يأكله والظاهر ان طعامه كان قليلاً ان كانت روايته صادقة لا فضول فيه تفرزه الطبيعة لكن عملية الهضم تستلزم ان يكون حجم الطعام كبيراً اكبر مما فيه من الغذاء حتى يسهل على المعدة ان تهضمه وتتناول الغذاء منه ولهذا انسب تطعم الدوب تبناً كثيراً مع الشعير او النول مع قلة الغذاء في التبن لكي يكون حجم المأكول كبيراً . وقد فكر البعض في تركيب غذاء لا يفرز منه شيء وذكر فلامريون طعاماً مثل هذا في احدى رواياته العلمية ولكن تحول دون النجاح في ذلك مصاعب جمة كيماوية وفسيولوجية لا نرى التغلب عليها ممكناً حسب ما وصل اليه العلم حتى الآن

باب الاخبار العلمية

اوجه القمر في شهر يوليو

	يوم	ساعة	دقيقة	
البدر	٤	١١	٤٠	مساء
الربع الاخير	١١	٢	١٢	»
الهلال	١٩	٥	٠٠	صباحاً
الربع الاول	٢٧	٨	٤٠	»
القمر في الحضيض	٦	٥	٣٦	مساء
» » الاوج	٢٢	٧	٣٦	»

السيارات

عطارد — يكون كوكب صباح في اول الشهر ثم يصير كوكب مساء في آخره

الزهرة — تكون كوكب مساء

المريخ والمشتري — يكونان كوكبي صباح

زحل — يكون كوكب مساء في اول الشهر ثم لا يشاهد في آخره

احصاء سكان مصر

ظهر من تعداد سكان القطر المصري الذي تم في ٦ مارس الماضي ان سكان القاهرة بلغوا ٧٨٥٠٠٠ وكانوا ٦٤٦٠٠٠ في احصاء سنة ١٩٠٧ فالزيادة ١٢٫٥ في المئة . وسكان الاسكندرية ٤٣٥٠٠٠ يقابلها ٣٥٢٠٠٠ سنة ١٩٠٧ فالزيادة ٢٣٫٦ في المئة

وهاك نتيجة الاحصاء في المحافظات والمديريات بالالوف

	١٩١٧	١٩٠٧
القنال	٩٠	٦٠
السويس	٣٤	١٨
دمياط	٣١	٥١
البحيرة	٨٨٤	٧٧٥
الشرقية	٩٤٧	٨٨٠
الدقهلية	٩٧٧	٨٦١
الغربية	٦٤٩	١٤٨٥
القليوبية	٥٢٧	٤٣٥
اسيوط	٩٦٩	٨٧٧
اسوان	٢٥١	٢٣٣
بني سويف	٤٤٩	٣٧٣
الفيوم	٥٠٧	٤٤٣
جرجا	٨٥٤	٧١٣
الجيزة	٥٢٣	٤٦٨
قنا	٨٣٩	٧٧١
المنيا	٧٥٧	٦٥٣
المجموع	١٢٥٦٦	١١٠٤٣

اي ان سكان القطر كانوا ١١٠٤٣٠٠٠ سنة ١٩٠٧ فزادوا في عشر سنوات الى ١٢٥٦٦٠٠٠ فالزيادة نحو ١٣ في المئة ما عدا محافظة دمياط فان سكانها نقصوا

وهذه الارقام لا تشمل البدو ولا سكان مديرية الحدود الغربية ولا الاهالي في مناطق الحرب . وسينشر تعداد هؤلاء فيما بعد فيزيد بها المجموع العام زيادة تذكر

ويؤخذ من هذا الاحصاء ان الزيادة النسبية في عدد سكان المدن الكبرى كالقاهرة والاسكندرية وبورت سعيد اعظم منها في المديريات مما يدل على تحول الناس من سكن القرى الى سكن المدن

وان عدد السكان زاد في الجهات التي وسع فيها نطاق الري في العشر السنوات الماضية

جمجمة بلتدون وغيرها

اشتهر عند علماء الجيولوجيا والانثروبولوجيا اسم هذه الجمجمة وهي جمجمة اكتشفها تشارلس دوسن العالم الانكليزي المشهور في مكان من انكلترا اسمهُ بلتدون فعرفت بالانتساب اليهِ . وقد اشرنا اليها في بعض اعداد المقتطف غير مرة . واغرب شيء فيها ان تحتها مستدير كأنهُ تحف راس انسان من اهل هذا العصر ولكن الفك الاسفل كبير الاسنان وخالٍ من بروز الذقن كأنهُ فك قرد من نوع الشمبانزي . وقد قال بعض العلماء ان هذا الفك ليس لتلك الجمجمة ولو وجد على مقربة منها وانهُ فك قرد من نوع الشمبانزي . وبالامس ارسل الدكتور وودورد رسالة الى الجمعية الجيولوجية في لندن ذكر فيها ان تشارلس دوسن مكتشف جمجمة بلتدون وجد في شتاء سنة ١٩١٥

قبل وفاته عظمين من عظام جمجمة وضرساً في حقل محروث يبعد ميلاً عن المكان الذي وجدت فيه جمجمة بلتدون . ومن رأيه ان احد العظمين والضرس هما من جمجمة النوع الذي تنتمي اليه جمجمة بلتدون والذي سمي Eoanthropus dawsoni نسبة الى مكتشفه ولكنه لا يعلم هل هما لجمجمة واحدة أم لا

وعلى ذكر الجماجم نقول ان فلاحاً بوهيميًا اكتشف سنة ١٩١٣ جمجمة في الترنسفال يعدها العلماء اشهر الجماجم البشرية بعد جمجمة بلتدون وجدها في ارض له فنقلت الى متحف الآثار هناك . ويقول عالم اميركي تولى فحصها انها تمثل نوعاً من الانسان لم يعرف قبل الآن واقترح تسمية هذا النوع Homo capensis وعنده ان هذا النوع وسط بين الانسان الذي تمثله جمجمة بلتدون وهو الملقب « بانسان الفجر » لانه سابق لسائر الانواع وبين الانسان الاول الذي تسلسل منه زنوج افريقية

وهذه الجمجمة التي اكتشفت في الترنسفال عظيمة الطول تخينة العظم هائلة الاتساع بالنسبة الى الجماجم الاخرى

مواسم الاثمار

المعروف في الشام مثلاً ان شجر الزيتون يحمل سنة ولا يحمل في التالية او اذا كان حمله هذه السنة كثيراً يكون في السنة التالية قليلاً على درجات مختلفة حتى لترى من الشجر ما لا يحمل زيتونة واحدة . والسبب معلوم وان جهله الاكثرون وهو انهم في اوان القطاف ينهالون على الاشجار ضرباً بالعصي الطويلة فتسقط ثمارها وتسقط معها رؤوس الاغصان فتقضي الاشجار سنة في تربية رؤوس اخرى وفي السنة التالية تحمل حملها المعتاد

والظاهر ان البستانيين في انكلترا يزعمون ان اشجارهم تحمل في سنة حملاً كثيراً وفي الاخرى حملاً قليلاً وان هذا في طبع الشجر لا عارض طارئ عليها . ولكن ظهر من تجارب بعض العلماء الذين انتدبوا لتحقيق هذا الزعم وبيان مكانه من الصحة ان ليس في طبع الشجر شيء من ذلك وان حملها يختلف باختلاف الهواء من حر وبرد على ما يرجح . فاذا اشتد الزمهرير ونزل الصقيع في الربيع اضر ذلك بانواع تخف حمل الاشجار والا اقبلت المواسم

مكتبة عالم

توفي العالم منسترپرج استاذ العلوم العقلية في جامعة هارڤرد باميركا وترك مكتبة فيها ١٠ آلاف مجلد فاشتراها بعض اصدقائه والمعجبين بعلمه وفضله واهدوها الى تلك الجامعة

رحلة قطبية

كان امتدمن الرحالة النروجي الذي اشتهر بارتياد الاصقاع القطبية غير مرة ثم بالوصول الى القطب الجنوبي اخيراً قد عقد العزم قبل اكتشاف هذا القطب على اكتشاف القطب الشمالي ثم عدل عن ذلك سنة ١٩١٠ لاسباب شتى وسافر الى القطب الجنوبي فاكتشفهُ وسبقهُ بيري الاميركي الى القطب الشمالي . والظاهر انهُ اراد ان يلي نفسهُ عن هذا السبق باعداد حملة الى القطب الشمالي ليكون ثانياً ولو لم يستطع ان يكون اول . فقد جاءت الانباء بانهُ يستعد للسفر الى القطب الشمالي بطريق بوغاز بيرين وبحر بوفور حاذياً بذلك حذو الرحالة نانسن قبلهُ وغرضهُ من ذلك التنقيب العلمي في اقليم القطب وطبيعة ارضهِ وسمائهِ ومائهِ وحيوانهِ ونباتهِ . وسيستصحب معهُ بضع طيارات للانتفاع بعملها تسهيلاً عليهِ . وقد منحهُ مجلس نواب نروج ١١ الف جنيه للانفاق على حملتهِ وكانت الجمعية الجغرافية الاميركية قد وعدتهُ باربعة آلاف جنيه تعطيهِ اياها متى عقد العزم على رحلتهِ

نور عجيب

ذكر الفلكيون الانكليز والفرنسويون ان ليل ٢٣ — ٢٤ ديسمبر الماضي بدلاً من ان يكون احلك الليالي لقربهِ من نقطة الانقلاب الشتوي ولان القمر في المحاق — كان ليلاً منيراً كأن القمر فيهِ ابن سبع ليالٍ او ثمان حتى استطاع بعضهم ان يقرأ بنورهِ كلاماً من بنط ١٨ . وكانت الجبال والتلال ترى فيهِ معترضة الافق كانما ترى بنور الفجر . وفي انكلترا تعذرت عليهم رؤية الكواكب الضعيفة النور والمجرة كما يحدث في الليالي القمرة . وقد اختلفوا في تعليل هذا النور وهل هو حادث عن الشفق القطبي ام لا

جامعة كمبردج

انشأت جامعة كمبردج شهادتين جديدتين تمنحهما للباحثين في الآداب والعلوم وقالت ان الغرض منهما ترغيب الطلبة في الاقامة بالجامعة سنة او سنتين بعد اخذهم شهادتها العادية للبحث والتنقيب في الموضوعات العلمية والادبية المختلفة . وقد سمت نائل شهادة الآداب Master of Letters. ونائل شهادة العلوم Master of Science. واعلنت انها تقبل في هذين الفرعين الجديدين خريجي الجامعات الاخرى

كذلك انشأت فرعاً جديداً سمتهُ معهد الآلات الزراعية Institute of Agricultural Mechanism. والغرض منهُ درس الآلات الزراعية قصد اصلاحها وتحسينها

راعوث هولدن النباتية

هي فتاة اميركية من المشتغلات بعلم النبات البارعات فيه ولدت سنة ١٨٩٠ وتمّت دروسها في جامعة هارفرد سنة ١٩١٢ وعكفت على البحث في نباتات العصور الجيولوجية من الفصيلة الصنوبرية ولكن لما نشبت الحرب تركت علم النبات وانقطعت لتمريض المرضى والجرحى ومضت الى روسيا في شهر دسمبر الماضي لهذه الغاية ورافقت الجيوش الروسية فاصيبت بالحمى التيفويدية ولم تكد تشفى منها حتى اصيبت بالالتهاب السحائي وتوفيت به في مدينة موسكو في ٢١ ابريل الماضي. وكانت قد نشرت مقالات كثيرة في وصف النباتات القديمة في اميركا وانكلترا. وامتازت بزكانتها ودقة نظرها واستحفاظها بالخاطر وتغلّبها على المصاعب

النقل في الهواء

تألفت لجنة في بلاد الانكليز لاجل البحث في امر النقل والانتقال في الهواء بواسطة الطيارات والبلونات رئيسها لورد نورثكلف صاحب التيمس والديلي مايل ومن اعضائها دوق اثول ولورد مونتاغي ولورد سدنهام والجنرال روك وارل دروغيدا والسر توماس مكنزي والجنرال برنكر وغيرهم

تهوية التربة

ظهر من مباحث عالمين انكليزيين ان مسئلة تهوية التربة اعظم شأناً في علم الزراعة مما كان يظنّ قبلاً وان النباتات المختلفة على اختلاف في حاجتها الى الاكسجين لتهوية جذورها فنبات الدفلى يحتاج الى اكسجين قليل والصفصاف الذي ينمو في المستنقعات تعيش جذوره وتنمو بلا اكسجين مدة شهرين ونصف من غير ان تتأثر بذلك. ومن النبات مالا يعيش بلا اكسجين ولو قليلاً

ينابيع الماء العذب في البحر الملح

على سواحل فرنسا ينبوع ماء عذب ينبع من عمق ٥٠ قدماً تحت البحر الى سطحه فيستقي منهُ الصيادون. ومن اشهر هذه الينابيع الينبوع التابع لجزيرة المحرق من جزر البحرين في خليج فارس فان اهل الجزيرة ومعظمهم من غواصي اللؤلؤ يستقون منهُ ولكن ماءهُ لا يصل الى سطح البحر فيضطرون ان يغوصوا بقربهم فيملأونها ماء عذباً ويصعدون بها الى سطح الماء

العلاج بنور الشمس

ابان السير كازين في اكادمية العلوم بباريز ان كثيرين من الجرحى عولجت جراحهم باشعة الشمس فشفيت

زيج بطليموس

ذكر بطليموس في كتابه المجسطي ٢٥٠ نجماً من الثوابت و بيّن اقدارها ومواقعها وقد ظن بعض علماء الفلك انهُ تناول ما ذكرهُ هبرخس الفلكي قبلهُ عن هذه النجوم وزاد المقدار اللازم في اطوالها حتى تصل الى عصره ولكن الدكتور دريركال حديثاً في الجمعية الفلكية الملكية ببلاد الانكليز ان النجوم التي ذكرها هبرخس كانت ١٠٥٠ نجماً فقط فلا داعي للقول بان بطليموس اعتمد عليهِ ولم يرصد هو النجوم بنفسهِ ويعين اقدارها ومواقعها

دقيق الشعير في الخبز

اجرى المسيو بلاند بعض التجارب في عمل الخبز من دقيق الحنطة الذي اضيف اليهِ دقيق الشعير او الذرة او الرز فوجد ان الخبز يبقى صالحاً ولو اضيف اليهِ عشرة في المئة من هذا الدقيق او ذاك وافضلها دقيق الشعير

نقولا تسلا

يذكر القراء اسم نقولا تسلا المساعد الكهربائي المشهور وهو اصلاً من اهالي الجبل الاسود . وقد اهدي اليهِ الآن نشان اديمن اعترافاً بكشفاتهِ المهمة في الكهربائية

الحساب العشري

تهتم جمعيات كثيرة في بلاد الانكليز بادخال الحساب العشري اليها في كل شيء في النقود والموازين والمقاييس والمكاييل حتى تصبح مثل فرنسا من هذا القبيل . والمظنون انها ستعتمد على الحساب العشري في ذلك كله بعد الحرب

الماء عند خط الاستواء

وجد الاستاذ كاري والدكتور ميران سطح ماء البحر عند خط الاستواء ابرد من الماء البعيد عنهُ خمس درجات شمالاً وعشر درجات جنوباً وهو اقل قلوية ايضاً وان ماء المطر في جزائر ساموى حامض وماء الينابيع والانهر فيها وفي جزائر هواي قلوي وفيهِ بيكربونات الصودا

غواة التلغراف اللاسلكي

كان في اميركا قبل دخول الحرب عدد كبير من الاميركيين غواة التلغراف اللاسلكي اي الذين يقتنون عدد التلغراف اللاسلكي للتسلية وتقطيع الوقت كما يقال . فلما دخلت اميركا الحرب اصدرت الحكومة الاميركية امرها بازالة جميع تلك العدد فلم تمض ايام قليلة حتى لم يبقَ في البلاد عدة واحدة عاملة الا ما كان منها لخدمة الحكومة او ما حفظهُ بعض الخونة سرًّا

نترات شيلي

يستدلُّ من بعض الاحصاءات ان المانيا استوردت من مناجم النترات في شيلي ٦٥٠ الف طن سنة ١٩٠٨ وتليها الولايات المتحدة الاميركية فاستوردت ٣٥٠ الف طن في تلك السنة . ثم فرنسا فبلغ ما استوردتهُ ٣٢٠ الف طن . واستوردت البلجيك ٢٣٠ الفاً . وهولندا ١٦٠ الفاً . وانكلترا ١١٠ آلاف ثم ايطاليا فالنمسا من ممالك اوربا . واستوردت بلدان افريقية ومصر في الجملة ٥٠ الف طن اي نحو ما استوردتهُ النمسا . واكثر ما يستعمل لهُ النترات تسميد المزروعات

الاهتمام بمسألة الطعام

اجتمع مؤتمر زراعي في سنت لويس باميركا وقرَّر ان يصرف وزير الزراعة خمسة ملايين من الجنيهات هذه السنة لاجل الترغيب في الاكثار من زرع مواد الطعام كالقمح ونحوهِ لكي تسدَّ مسد النقص في محاصيل الحبوب

سكك الحديد الاميركية

كان في اميركا منذ عشر سنين ٠٠٠ ٨٤٠ ١ مركبة للبضاعة في سكك الحديد فزادت حتى بلغت ٨٥٥ ٨١٨ ٢ في آخر السنة الماضية اي ان عددها زاد ٣٧ في المئة اما سعتها فزادت ٦٠ في المئة

اعمق المناجم

اعمق المناجم منجم ذهب في البرازيل فُتح في القرن الثامن عشر فان عمقهُ ٨٠٠ متر وهو يزيد نحو مئتي متر على عمق منجم هوتن في اميركا الشمالية وكان يظنّ انهُ اعمق المناجم

وفيات الاطفال في انكلترا

اصدرت مصلحة الصحة الانكليزية احصاء رسميًّا لوفيات الاطفال من حين ولادتهم حتى يبلغوا الخامسة من سنهم بين اول سنة ١٩٠١ وآخر سنة ١٩١٤ . ويؤخذ منهُ ان عدد الاطفال الذين ماتوا في خلال هذه المدة بلغ في انكلترا (ما عدا اولندا) ٥٧٥ ٠٧٨ طفلاً اي ٢٨ في المئة من مجموع الوفيات في السنوات الاربع وان معظم الوفيات في المدن الصناعية الكبرى

الوفيات في اميركا

يؤخذ من بعض الاحصاءات الاميركية ان وفات المدن ترجح وفيات القرى رجحاناً كبيراً وان متوسط اعمار الاناث في جميع ادوار العمر اكثر من متوسط اعمار الذكور الاَّ بين الخامسة والعشرين والحادية والثلاثين

فهرس الجزء الاول من المجلد الحادي والخمسين

صفحة

١ سياحة ذرة ساد (مصوّرة)
٧ اين المحبوب
٩ استعمار السوريين بين العهدين . للدكتور فيليب حتي
١٩ الحياة بعد الموت
٢٦ طرائف من ادب العرب . لنقيب
٣٣ في بادية الشام . امز الدين افندي آل علم الدين
٣٩ القدرية والجبرية . لمحمد افندي حسين هيكل اخاي دكتور في الحقوق
٤٥ ذكرى قاسم امين . لأحمد بك لطفي السيد
٥١ مستقبل الشرق الادنى
٥٥ مصر منذ اربعمائة سنة . لبيتري افندي تقولا

---

٦٣ باب الزراعة * دود القز (مصوّرة) . ريع الزراعة في مصر . ثمر القمح . الحرث بجاريك الفرنسوي . تجارب في زراعة القمح . وقاية الطيور الآكلة للحشرات . الحشرات المضرة بالرز في الفيط
٧٤ باب تدبير المنزل * حمى مالطة . الافراط في الاكل . وصاب للآكلين . مقدار الطعام اللازم للجسم . الشاي والقهوة . الخبز الاسمر والخبز الابيض . الركام وسيلة وعلاجه . ضبط القياس
٨٠ باب المراسلة والمناظرة * ذكرى الدمدولة . نفوس المصريين
٨٤ باب التقريظ والانتقاد * بذة تاريخية . كتاب المساكين . امثال الشرق والغرب . اوزان الشعر العربي . الدليل المصري لسنة ١٩١٧ . مجلة مدرسة الجزيرة المتوسطة . تاريخ الاتراك العثمانيين . الغرور . السلاح الجراحي . رواية الحاكم بامر الله
٩٣ باب المسائل * (مصوّرة) وفيه ١٤ مسألة
٩٧ باب الاخبار العلمية * وفيه ٣٦ بذة

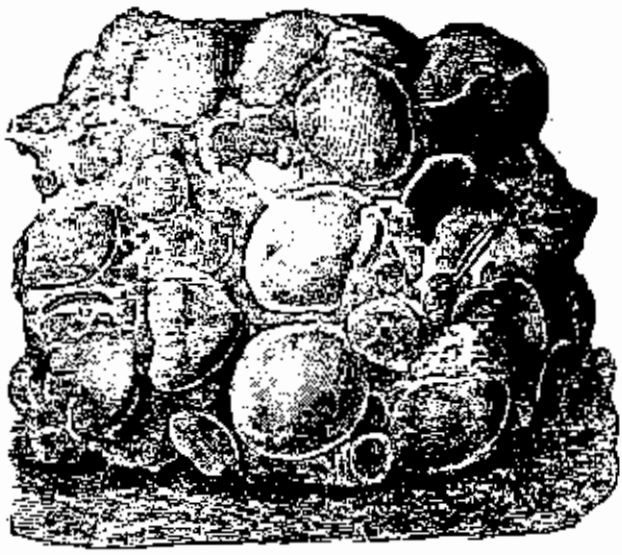

صورة قطعة من الصخور الصدفية المدورة التي بنيت منها الاهرام

انبر ر الاسد الهندي

متحف غسطس ٧ ٩

امم نسخة ٥